20 me année No 1007

Le Caire 20 — 10 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ محرم سنة ١٣٧٢ — ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٢ » السنة العشرون

قوة الكلمة

للأستاذ سيد قطب

في بعض اللحظات لحظات الكفاح المرير الذي كانت الأمة تزاوله في العهد الذي مات .. كانت تراودني فكرة يائسة، وتلح على إلحاحا عنيفا .. أسأل نفسي في هذه اللحظات .. ما جدوى أن تكتب؟ ما قيمة هذه المقالات التي تزحم بها الصحف؟ أليس خيرا من هذا كله أن تحصل لك على مسدس وبضع طلقات، ثم تنطلق تسوى بهذه الطلقات حسابك مع الرؤوس الباغية الطاغية؟ ما جدوى أن تجلس إلى مكتب، فتفرغ حنقك كله في كلمات، وتصرف طاقتك كلها في شيء لا يبلغ إلى تلك الرؤوس التي يجب أن تطاح؟!

ولست أنكر أن هذه اللحظات كانت تعذبني. كانت تملأ نفسي ظلاما ويأسا. كانت تشعرني بالخجل أمام نفسي. خجل العجز عن عمل شيء ذي قيمة!

ولكن هذه اللحظات لحسن الحظ لم تكن تطول. كان يعاودني الأمل في قوة الكلمة. كنت ألتقي ببعض من قرأوا لي مقالا، أو أتلقى رسائل من بعضهم، فأسترد ثقتي في جدوى هذه الأداة. كنت أحس أنهم يتواعدون معي على شيء ما. شيء غامض في نفوسهم، ولكنهم ينتظرونه، ويستعدون له، ويثقون به!

كنت أحس أن كتابات الكافحين الأحرار لا تذهب كلها سدى: لأنها توقظ النائمين، وتثير الهامدين، وتؤلف تيارا شعبيا يتجه إلى وجهة معينة، وإن لم تكن بعد متبلورة ولا واضحة .. ولكن شيئا ما كان يتم تحت تأثير هذه الأقلام

ولكنني مع هذا كنت أعود — في لحظات اليأس والظلام — لأتهم نفسي. كنت أقول: أليس هذا الإيمان بقوة الكلمة تعلة العجز عن عمل شيء آخر؟ ألا يكون هذا ضحكا من الإنسان على نفسه ليطمئن إلى أنه يعمل شيئا. وليهرب من تبعة التقصير والجبن؟

وهكذا كنت أعيش طوال فترة الكفاح الماضية .. حتى شاء الله أن يطلع الفجر الجديد، وأن تنكشف الغمة المتمة، وأن يتنفس الناس الهواء النظيف الذي حملته الثورة، وأن يصبح هذا الصراع ذكرى يضمها التاريخ في ثناياه ..

واليوم خطر لي أن أرجع إلى بعض القصاصات التي تحوى بعض ما كنت أكتب في ذلك العهد الرهيب ..

ولست أنكر أنني فوجئت مفاجأة شديدة .. إن قوة الكلمة شيء عجيب. إن أحلاما كاملة قد أصبحت حقيقة واقعة، وأن نبوءات قد صحت برمتها .. لكأنما كانت أبواب السماء مفتوحة والكافحون الأحرار يكتبون ويتوجهون بكل قلوبهم مع هذه

الـكلمات .. وإلا فمن يصدق — حتى أنا — أنني كتبت منذ أكثر من عام مثل هذه الفقرات :

« لقد بدأنا فى هذه المرة بدءا أكيدا لأننا بدأنا بدءا صحيحا . لقد خر اثنان من الفلاحين مضرجين بدمائهما الطاهرة ، أولهما فى كفور نجم بتفتيش محمد على .. والثانى فى بهوت فى تفتيش البدراوى

« لقد سالت دماؤهما فى هذه المرة لا فى ثأر عائلى ولا فى معركة انتخابية كما اعتادت سجلات البوليس أن تسجل ، ولـكنها سالت فى معركة الأرض ! الأرض الطيبة التى روى تربتها الملايين بالعرق والدموع ، ولم ينالوا منها شيئا ، ثم ها هم أولاء أخيرا قد بدأوا يروونها بالدماء . ولن تخونهم الثمرة فى هذه المرة لأن بذرة الدم لم تخب يوما فى التاريخ ولن تخيب

« لقد خر أول شهيدين فى معركة الأرض المقدسة أردتهما الأيدى الأثيمة . وسيتبعهما آخرون حتما . فهذا الإقطاعى المجنون لن يصبر على أن يرفع العبيد رءوسهم . ولن يطيق أن يسوء أدب الرقيق فى حق الأسياد . ولن يكف عن إراقة الدماء وإذن فلقد بدأنا !

« إن ملـكية هذه الأرض الطيبة قد ردت على أصحابها الحقيقيين . إن وثيقة التملك السماوية قد كتبت ولن تفسخ أبدا.. لقد كتبت بالمادة التى لا تمحى . كتبت بالدماء ، فإذا لم تكن ذات الأرض قد ردت بعد ، فإنها منذ اليوم تعد مغصوبة والاغتصاب لن يدوم

« إن هؤلاء الإقطاعيين الحمقى سيوقعون فى كل يوم وثيقة بالتنازل عن الأرض المغصوبة . سيوقعونها فى صورة رصاصة طائشة تخترق صدر شهيد ، أو بلطة مجرمة تمزق جثمان بطل . ولـكنها ستكون هى هى وثيقة التنازل عن الأرض ووثيقة التملك للآخرين المحرومين

« لقد طال ليل الظلم وطال ارتقابنا للفجر الجديد.. ثم ها هو الفجر يلوح . . لقد تلألأت أشعته الأولى ، تلألأت فى هذه القطرات الزكية من الدم المسفوح . إنها ليست قطرات من الدم الرخيص فى معركة انتخابية ، إنها دماء عزيزة غالية لأن وراءها قضية طال عليها العمر . قضية مرت بها القرون تلو القرون . قضية كانت فى حاجة إلى مستند لا ينقض ، وإلى حجة لا ترد ، ولقد كتبت هذه الحجة الأزلية فى كفور نجم وفى بهوت . كتبت وانتهت وليس إلى مرد من سبيل !

وستكتب فى كل يوم وثيقة جديدة . ستكتب بفضل حماسة الحمقى الذين لا يؤمنون بالنذر ، الذين تأخذهم العزة بالإثم ، الذين مردوا على التكبر الفاجر والاستغلال القذر . الذين لا يطيقون أن تقف قامة واحدة منتصبة ، ولا رأس واحد مرفوعا ، الذين ألفت عيونهم رؤية الراكعين الساجدين فى عشرات القرون

إن هذه القطرات الطاهرة من الدماء العزيزة ستتحول نارا مقدسة تحرق ، ونورا سماويا يضئ ، ولن تخمد الشعلة أبدا بإذن الله ، ولن ينطفئ النور أبدا وهو من نور الله !

اللهم حمدا لك وشكرا . . اللهم حمدا لك وشكرا . . اللهم بارك نارك المقدسة التى أوقدت ، ونورك السماوى الذى أطلعت ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . . »

قرأت هذه الفقرات التى كتبت منذ أكثر من عام مضى ، ثم عدت أسأل : أية قوة غير قوة الكلمة كانت تملك فى ذلك الوقت الرهيب المظلم أن تشق حجاب الغيب ، وأن تتجاوز العقبات والأشواك ، وأن ترقم فى السجل الخالد ذلك الواقع المشهود ؟

ثم عدت أسأل من جديد : ما سر قوة الكلمة ؟

إن السر العجيب ليس فى بريق الكلمات وموسيقى العبارات ؛ إنما هو كامن فى قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء المدلولات ! إنه فى ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية ، والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس

فى هذا يكمن سر الكلمة وفى شئ آخر : فى استمداد الكلمات من ضمائر الشعوب ، ومن مشاعر الإنسان ، ومن صرخات البشرية ، ومن دماء الكافحين الأحرار

إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها ، وتجمعها ، وتدفعها .. إنها الكلمات التى تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حى . كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان . أما الكلمات التى ولدت فى الأفواه ، وقذفت بها الألسنة ، ولم تتصل بذلك النبع الإلهى الحى ، فقد ولدت ميتة . ولم تدفع بالبشرية شبرا

واحداً إلى الأمام . . إن أحداً لن يتبناها ، لأنها ولدت ميتة . والناس لا يتبنون الأموات !

إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيراً . ولكن بشرط واحد : أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم. أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم . أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ، ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق .. إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثاً هامدة ، حتى إذا متنا فى سبيلها أو غذيناها بالدماء ، انتفضت حية ، وعاشت بين الأحياء !

فإلى الذين يجلسون إلى مكاتبهم ، يكدون قرائحهم ، لينتقوا اللفظ الأنيق ، وينمقوا العبارة الرنانة ، ويلفقوا الأخيلة البراقة .. إلى هؤلاء أتوجه بالنصيحة : وفروا عليكم كل هذا العناء ؛ فإن ومضة روح ، وإشراق قلب ، بالنار المقدسة ، نار الإيمان بالفكرة .. هو وحده سبب الحياة . حياة الكلمات وحياة العبارات !

* * *

ثم ماذا ؟

ثم لا يقعدن القادر على العمل وهو يطمع أن يؤدى واجبه بالكلام .. ذلك خاطر أحب أن أحذر منه بعد ما أسلفت من الإيمان بقوة الكلمة ، وإلى آثارها الملموسة فى الحياة

إنه فى كثير من الأحيان يكون القول الفصل للشاعر الذى يقول :

السيف أصدق إنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

وفى كثير من الأحيان يصبح من العبث أن نظل نتكلم ونتكلم ، ثم لا نفعل شيئاً . إن الكلمات فى هذه الحالة تكون استهلاكاً للطاقة الكامنة وليست توليداً للطاقة

ثم إن عدداً نادراً من الكتاب الموهوبين هم الذين يملكون أن يحولوا الكلمات إلى طاقة . أما القاعدة فهى أن يعمل الناس ، وأن يحققوا بالعمل ما يريدونه من مقدرات

والكلمة ذاتها — منها تكن مخلصة وخالقة — فإنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً ، قبل أن تستحيل حركة ، وأن تتقمص إنساناً . الناس هم الكلمات الحية التى تؤدى معانيها أبلغ أداء

إن الفارق الأساسى بين العقائد والفلسفات أن العقيدة كلمة حية تعمل فى كيان إنسان ، ويعمل على تحقيقها إنسان . أما الفلسفة فهى كلمة ميتة ، مجردة من اللحم والدم ، تعيش فى ذهن ، وتبقى باردة ساكنة هناك

ومن هنا كانت العقائد هى الحادى الذى سارت البشرية على حدائه ، فى درب الحياة المتعرج الطويل . تصعد الروابى وتهبط السفوح ، وتردد حداءه فى المتاهة المهلكة ، فتنجو وتحيا ، وترتقى وتثق فى رسالتها ، لأنها رسالة تنبع من أعماق الضمير ، ويشتعل بها الوجدان ، ويتلألأ بها الشعور

إنه لا بد من عقيدة . وقوة الكلمة إنما تنبع من أنها ترجمان العقيدة . والعقيدة هى التى يغذيها الناس بحياتهم فتوهب لهم الحياة

سيد قطب

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات

إحدى روائع القصصى العالمى الواقعى
لشاعر فرنسا الخالد
* لامرتين *

ثمنها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

دولة بلا دين !؟

ما هذا الكلام الفارغ الذى نقرأه فى بعض صحف مصر ؟ فمن دعوة إلى حذف النص على دين الدولة من الدستور . ومن انتقاد للدولة الدينية ، ومن أمثال ذلك تفيض به الصحف ، وتنطلق به الأقلام ؟

والعجيب أن هؤلاء الذين يأتون بهذا الكلام ، لا يعرفون الإسلام ، ولا يعرفون علوم العصر ؛ فهم يقررون بأن مصر هى الدولة الوحيدة التى نص فى دستورها على أن دينها الإسلام ، مع أن المثقفين الثقافة القانونية يعلمون أن على ظهر الأرض اليوم تسع عشرة دولة قد اشتمل دستور كل واحدة منها على مثل هذا النص هي: السويد والنرويج والدانيمارك وإرلنده والأرجنتين وباراغواى وبوليفيا وكولومبيا وبيرو وكوستاريكا وبناما وإيران وبولونيا ورومانيا ونيكاراغو والأفغان واليونان وبلناريا وسيام ، حتى أن منها من نص فى دستوره على مذهب معين كاليونان وبلناريا (الأرثوذكسية الشرقية) وبولونيا (الكاثوليكية الرومانية) ، ورومانيا (الأرثوذكسية الرومانية) ، ونيكاراغو وبوليفيا والأرجنتين وباراغواى (الكاثوليكية الرسولية الرومانية) ، وإيران (الجعفرية الاثنا عشرية) ، والسويد (الإنجيلية السليمة على الصورة التى وسمتها طائفة أوغسبورغ الطاهرية وأقرها مجمع أوبسال سنة ١٥٩٣) ، ونروج والدانيمارك (الإنجيلية اللوثرية) ، وإيرلندا وبيرو (الكاثوليكية الرسولية الرومانية) ، وبناما (الكاثوليكية)

ونحن نقول هذا لا لنكسب لقضيتنا دليلا ، ونقيم على دعوانا بينة ، بل لأننا نعلم أن هؤلاء الكتاب ، الداعين إلى حذف النص على الدين من دستور مصر ، لا يفهمون بالحجة والمنطق والبرهان ، ولا يميزون بين الرأى والرأى ، بمقدار ما فيه من حق وباطل ، بل بالدمغة التى يقرؤونها عليه ، فإن كان عليه دمغة أمريكا (Made in U.S.A) فهو عين اليقين ، وإن كان عليه دمغة إنكلترا فهو حق اليقين فقط . وإن كان عليه دمغة فرنسا فهو اليقين ، أما إن كان مصنوعا فى الشرق فليس فيه إلا البطلان !

ولا تغرركم أسماؤهم الكبيرة ، فإنها طبول ، وإنهم بلا عقول ، أو إنهم لا يستعملون عقولهم . إنى أقول الحق والله لست أريد السباب

وطالما ناظرت رجالا من هؤلاء فكنت آتيهم بكلمة معزوة لإمام من أئمتنا فيسخرون منها ، فآتى بأخرى فى معناها لعالم أو فيلسوف من أوربا أو أمريكا فيخضعون ويخشعون ويسلمون

والذى يثبت لكم أن كلامهم تقليد بلا فهم ، هو أنهم سمعوا الأفرنج يقولون بفصل الدين عن السياسة ، فقالوا بذلك وكرروه حتى صار من الحديث المعاد والكلام المملول ، ولم يفهموا إلى الآن ماذا يريد الأفرنج بلفظ الدين

الدين عند الأفرنج هو الذى يحدد صلة الإنسان بالله . لذلك قالوا : الدين لله والوطن للجميع ، وقصروا الدين على الكنيسة

ونحن لا ننازع فى شئ من هذا ، ولا نقول بأن للدين (بهذا المعنى) صلة بالسياسة ، ولا نقول بأن له دخلا فى الدولة ، ولكن ماذا نصنع إذا كان الإسلام يختلف بطبيعته عن النصرانية وعن الأديان الأخرى ، بأن كان فيه ما يحدد صلة الإنسان بالله وهو الدين (العبادات) ، وكان فيه ما يحدد صلته بأهله وأسرته ، (الأحوال الشخصية) ، وكان فيه ما يحدد صلات الناس بعضهم ببعض (المعاملات) وكان فيه حقوق عامة جزائية (العقوبات) ودستورية (أحكام البيعة وما يتصل بها من مباحث الفقه) ، وكان فيه حقوق دولية عامة تحدد صلات الدول بعضها ببعض ، وخاصة تحدد صلات رعايا دولة بدولة أخرى ، كل هذا فى الإسلام وهو موجود فى كل كتب الفقه ، فهل يمكن أن نفصل بعضه عن الإسلام ؟ هل يريد هؤلاء المجددون المقلدون أن نحذف سورة براءة مثلا من القرآن لأنها من الحقوق الدولية وليست من الدين ، كما يفهم الأفرنج من كلمة الدين ؟

° ° °

نحن لا نريد أن ندخل الدين ، الذى هو العبادات ، أى — الصلاة والصوم — فى الدولة ، ولكن لا نستطيع أن نقيم دولة أو

نضع قانونا ، مخالفين أحكام الإسلام فى إقامة الدولة ، وفى موضوع هذا القانون

هذا كلام واضح صريح مفهوم ، صرت أستحى من إعادته ونشره ، لكثرة ما قلناه ونشرناه . ولكن هؤلاء الناس لا يفهمونه أو هم لا يريدون أن يفهموه ، وهو باطل فى نظرهم وسيبقى باطلا إلى أن يقرؤوه باللغة الإنكليزية فى مجلة تطبع فى نيويورك أو سانفرنسكو ، أو فى أى قرية من قرى أمريكا ، هنالك يصير حقا ويهتفون له ، ويعيدونه ويفخرون بأنهم كانوا منتسبين (بالمصادفة) إلى هذا الدين العظيم

وإلا فهل يمكن أن تكون دولة بلا دين ؟ لا أقول لكم اقرؤوا كتبنا ومباحث علمائنا . بل أحيلكم على العلامة دوركايم ليثبت لكم أن ذلك ضد طبيعة الإنسان

وماذا تكون حال مصر لو خلت لا سمح الله من الدين كما يتمنى هؤلاء (العقلاء) ! ؟

إنه لا يبقى إلا القانون وازعا ، والقانون يمثله الشرطى ، فإن أنت لم يرك الشرطى فقد جاز لك أن تسرق وتزنى وتعمل السبع الموبقات . وهذه كانت شريعة إسبرطة ، كانت السرقة جائزة مالم تكشف ، فأين هذا من خوف الله وازعا ؟ إن المؤمن له من إيمانه شرطى مرافق له لايفارقه ، يمنعه من كل محرم . فهل من المصلحة يا حضرات العقلاء الكبار جدا ، أن تمحوا هذا الوازع من النفوس ؟

وماذا يضركم أو يضر النصارى أو اليهود أو الإنس أو الجن إن كان دين مصر الرسمى الإسلام ؟ هل أمر الإسلام يوما بظلم أحد من الموافقين والمخالفين أو أذن به ؟ هل دعا إلى فاحشة ؟ هل حارب ثقافة أو علما ؟ هل عارض إصلاحا أو تقدما ؟

إن ذنبه أنه يحرم الزنا والفسوق والقمار والربا وسائر الفواحش والنفوس تحب هذه الأمور ، وتود الانطلاق إليها بحرية كحرية المجنون الذى ينزع سراويله ويكشف عورته ويدخل المسجد ، لا تريد من يقيدها ويحجزها

إنها الخلاف بين الحرية المجرمة والقيد ، بين الجنون والعقل[1] فهل تريدون أن نترك العقل ونصير مجانين ؟

ومن سيكون الضحية ؟ نحن ! لأن أكثر هؤلاء لا بيوت لهم ولا بنات ولا أخوات ، هم عزاب فساق يريدون أن نطلق لهم العنان ، ليعيثوا فى بناتنا وأخواتنا فسادا ، فهل نكون رجعيين جامدين إن قلنا لهم : مكانكم إنا لا نستطيع أن نسمح لكم بهذا ؟

إننا حين ندعو إلى الدين ، وإلى الدولة الإسلامية ، إنما ندافع عن أعراضنا وأموالنا ، فهل علينا فى هذا ملام ؟

ثم إن الديمقراطية حكم الأكثرية ، ونحن (المسلمين المتمسكين) الأكثرية فى كل بلدان الشرق الأدنى ، فهل تريد الأقلية المتجردة المنطلقة أن تحكمها فينا ؟

أين الديمقراطية إذن ؟

الديمقراطية مشتقة من ديموس باليونانية ، وديموس هو الشعب ، والشعب يريد الحكومة الإسلامية

فهل بعد هذا كلام ؟ !

دمشق (ع)

(١) أصل مادة العقل والحكمة فى اللغة من العقال والحكمة . وهما كالقيد للدابة

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة للمجلد الأول

من كتاب

وحى الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

بين الشعر والسياسة

المنفلوطي الشاعر الجرىء

للأستاذ محمد رجب البيومي

حين انتقل المنفلوطي إلى رحمة ربه قوبل أدبه بعاصفة شديدة من النقد، واتجهت المعاول الحادة إلى تحطيم بنائه الراسخ فى دولة الأدب، حتى ظن الكثيرون أن هذا الصرح الناهض سيخر منهدما فى أمد قريب، دون أن يجد الدعائم الواقية من السقوط، وكنت تجد من يقولون عن مصطفى إنه أديب يعنى بالديباجة الصافية، والأسلوب الرائق، دون أن يقدم للقارئ فكرة حية أو معنى جميلا. فإذا قلت لهؤلاء إن مقالات الكاتب الكبير لا تعدم الفكرة الحية، والرأى الصائب غير أنها كسيت ثوبا جميلا من سلاسة اللفظ وإشراق التركيب، وجدتهم يواجهونك بنقد آخر فيقولون: إن الكاتب العاطفى قد وقف بأسلوبه عند تصوير البؤس والحرمان، وما يدفعان إليه من كآبة موحشة، ودموع وزفرات، وكان عليه أن يصور من الحياة جانبها الباسم الوضىء، فيرسم لقارئه لوحات مرحة توشيها البهجة والطرب والابتسام!! كأنما كان لزاما عليه أن يتنكر لعواطفه الإنسانية فيضحك ويغرد فى مجتمع بائس فقير مريض.. وربما تحذلق ناقد ثالث فادعى أن أدب الكاتب تافه ساذج رغم مايسطع فيه من إشراق، لأنه إذا ترجم إلى لغة أجنبية فقد رونق اللفظ، وبهجة التركيب، وظهر المعنى هزيلا تافها يتسم بالضعف والسطحية والإسفاف، ونحن نعلم أن كل أثر يترجم إلى غير لغته — ولو كان كتاب الله الكريم — يفقد لا محالة بعض ما يتسم به من الروعة والتأثير، فلماذا نحاسب المنفلوطى العظيم على أمر لا حيلة له فيه، إلا أن نكون ممن يتصيدون المثالب تصيدا مغرضا ثم يلصقونها جزافا بالبررة الأبرياء

إن أكبر دليل على قوة المنفلوطى وإبداعه، هو خلود أدبه، فقد مر ما يقرب من ثلاثين عاما على وفاته، وما زالت كتبه ورواياته تطبع وتتكرر طبعاتها الواحدة تلو الواحدة، وما زال الشباب يجدون فى «نظراته» ما ينذى عواطفهم الجائعة، ويروى مشاعرهم الصادية، كما يلمسون فى رواياته البديعة سحراً أخاذا يستولى على النفوس، ولا أكاد أعرف أديبا لامعا ممن عاصر المنفلوطى ومن جاء بعده لم ينتفع بأدبه، حتى وصل إلى القمة على نبراس بيانه، بل إن التلاميذ فى المدارس والمعاهد والكليات، يضلون السبيل إلى الأدب الرائق الجذاب، فتتعثر بهم الخطوات، وتصارعهم الركاكة والتفكك والإسفاف، فإذا اتجهوا إلى أدب المنفلوطى الخالد، قادهم بسحره الأخاذ إلى الروعة والقوة والصفاء،

لقد كنت أدرس بعض النصوص النثرية لأعلام الأدب المعاصر بإحدى المدارس الثانوية، فكنت أعرض نماذج متنوعة فرضت فرضا على، وقد لاحظت أن الطلاب يهشون لأدب المنفلوطى، ويطلبون المزيد من إنتاجه، ويسارعون إلى حفظه دون أن يرهقهم المدرس بالإلحاح فى ذلك، ولم أر من يشاركه هذه الحظوة لدى الطلاب غير الأستاذ الزيات والدكتور طه حسين، وهذا هو الحق الذى أعترف به دون مجاملة أو إطراء. وربما ظن بعض الناس أن المنفلوطى مختار معشوق لسهولة لفظه، وقرب معانيه من أفهام التلاميذ، كلا والله، فقد كنت أختار لغيره من الأعلام قطعا يسيرة، قريبة المتناول، فتقابل بالإعراض والصدود. وكم من أديب عشق المنفلوطى يافعا، وما يزال حبه يتأكد ويعظم دون أن يهن على تعاقب السنين، واتساع المدارك والأفهام

دعانى من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

* * *

وقد لا يعرف كثير من الناس أن المنفلوطى الكاتب قد بدأ حياته الأدبية شاعرا ينظم القصائد الجودة، ويرسل المقطوعات الطريفة، فقد ساعدته نشأته الأزهرية على تصفح دواوين الشعراء، ورزقه الله ذوقا سليما، وأذنا موسيقية، فعكف على استظهار الروائع الخالدة فى الشعر العربى حتى اجتمعت له ثروة أدبية ممتازة فى سن مبكرة، وكان الشعر فى نهاية القرن السالف يتجه وجهة

تقليدية بالية ، كما كانت الصحف لا تحفل إلا بالمدائح الخديوية المبتدأة بالنزل الصناعى الثقيل ، وتتجه براعة كل ناظم إلى تصيد المحسنات المتكلفة من طباق وتورية وجناس على وجه يشى بالإسفاف والافتعال ، وقد استطاع مصطفى الناشئ أن يحتفظ فى شعره التقليدى برونق صاف ، وقوة مكتسبة من البارودى زعيم المدرسة الشعرية الأصيلة لعهده ، ومن أوائل شعره

أردنا سؤال الدار عمن تحملوا فلم ندر من فرط الأسى كيف نسأل
وهاج لنا الذكرى معاهد أصبحت تعيث صباً فيها وتعبث شمأل

كما كان الناشئ المتأدب يحاكى شعراء العصر العباسى محاكاة تدل على بصر بالأسلوب ، واعتناء بتجويده وإبداعه ، ومحافظة على النهج الاتباعى العتيق . وقد نظم فى مديح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده قصائد تنم عن إخلاص قوى ، وتقدير عظيم ، ثم سعى إليه فأسبغ عليه عطفه ، واكتسب منه أدبا وعلما وخلقا ، وقد أرشده الأستاذ إلى بعض الذخائر الثمينة من أمهات الكتب العربية فقرأها قراءة الدارس المتعمق ، وزاد تملقه بالشعر ، فخاض بحوره ولهج بقوافيه ، وزاد إنتاجه التقليدى قوة وصفاء حتى قارب البارودى فى فحولة المطلع ، ومتانة الأسر ، وانسجام اللفظ ، ووحدة الاتجاه ، وإليك أحد مطالعه الرصينة فى مديح الأستاذ الإمام :

سقاها وحياها ملث من القطر وإن أصبحت قفراء فى منزل قفر
طواها البلى طى الصحيح رداءه وليس لما يطوى الجديدان من نشر
مسارح آساد ومثوى أراقم تجاور فى قيعانها النيد بالحجر
لقد فعلت أيدى السوافى بنؤيها وأحجارها ما يفعل الدهر بالحر

وقفت بها فى وحشة الليـــل وقفة
أثار شجاها كامن الوجد فى صدرى
فأنشأت أبكى والأسى يتبع الأسى
إلى أن وجدت الصخر يبكى على الصخر

وكان الاحتلال الإنجليزى — إذ ذاك — حديث عهد بالبلاد ، والمصريون فى حسرة بالغة لما أصاب الثورة العرابية من فشل جره إليها الرشوة والخيانة وفساد الضمائر عند بعض الناس ، والمنفلوطى كما نعلم سريع التأثر ، رقيق الإحساس ، قوى الشعور ، فكان يفكر كثيرا فى مصائب وطنه ورزاياه ، ثم نظم قصيدة ثورية نشرها فى كتاب خاص يندد فيها بالاحتلال وصنائعه من المصريين ، كما عرض بالخديوى وحاشيته ، ولم يذكر فى نهايتها توقيعه الصريح ، بل جعل الإمضاء رمزا غامضا لا يدل على إنسان ! ! وقد شاعت قصيدته فتناقلها الناس ، وكان لها دوى بعيد ، وبحث الطغاة عن القائل فلم يجدوه

وواضح أن جمهرة المثقفين فى مصر كانوا — ولا يزالون — يبغضون الأسرة الحاكمة بغضا لا مزيد عليه ، فهم يعلمون ما جره إسماعيل على البلاد من خراب هائل ، نتيجة لديونه الفاحشة التى استنفدها فى ملذاته وشهواته ، وبناء قصوره وحدائقه ، ومتعه وحريمه ، واختلاس حاشيته ، وجاء ولده توفيق فناهض حريات الشعب ، وخان وطنه وعرشه ، وقدمه لقمة سائغة للاحتلال ، لينتقم من عرابى الزعيم البطل الناهض . ولئن تظاهر عباس بعده بالوطنية والصلاح فى مستهل حياته ، فقد كانت أطماعه تمتد إلى أموال الشعب وضياعه ، فقد أراد أن يأخذ الآلاف من أفدنة الأوقاف المثمرة الخصبة ، نظير صحراء مقفرة فى أرضه الشاسعة لا تجود بشئ !! فوقف أمامه الأستاذ الإمام وقفة رهيبة ، قلمت أظافره ، وحطمت كبرياءه ، وأنذرته بالفضيحة الطامة ، وابتدأ العداء السافر بين الرجلين ، فأوعز الخديو بمهاجمة الإمام على صفحات الجرائد المأجورة ، ودفع الأقلام الخائنة إلى ثلمه وانتقاصه ، وكان المنفلوطى من شيعة الإمام وتلاميذه القريبين ، فهاجت ثائرته على الباطل ، ونشر فى جريدة الصاعقة (٤ / ١١ / ١٨٩٧) التى كان يصدرها الصحفى الوطنى الجرئ المرحوم الأستاذ أحمد فؤاد قصيدة قاسية فى هجائه ، فأحدثت دويا تردد فى المحافل لما تضمنته من تنديد بعباس وأجداده الظالمين الطغاة ! وحسبك أن تسمع منها هذه الأبيات ، وقد قيلت بمناسبة عودة عباس من الآستانة إلى مصر :

قدوم ولكن لا أقول سعيد وعيش وإن طال المدى سيبيد[1]

---

(١) ينسب هذا المطلع وحده إلى السيد توفيق البكرى وقد سار المنفلوطى على غراره

علام التهانى ، هل هناك مآثر فنفرح ، أو سعى لديك حميد
تمر بنا لا طرف نحـوك ناظر ولا قلب من تلك القلوب ودود
تذكرنا رؤياك أيام أنزلت علينا خطوب من جدودك سود
رمتنا بكم مقدونيا فأصابنا مصوب سهم بالبلاء سـديد
فلما توليتم طغيتم وهكذا إذا أصبح التركى وهو عميد
فكم سفكت منا دماء بريئة وكم ضمنت تلك الدماء لحود
وكم ضم بطن البحر أشلاء جمة تمزق أحشاء لهـا وكبود
وكم صار شمل للبلاد مشتتا وخرب قصر فى البلاد مشيد
وسيق عظيم القوم منا مكبلا له تحت أثقال القيود وئيد
فما قام منكم بالعدالة طارف ولا سار منكم بالسداد تليد
كأنى بقصر الملك أصبح بائدا من الظلم ، والظلم المبين يبيد
ويندب فى أطلاله البوم ناعيا له عنـد ترداد الرثاء نشيد
أعباس ترجو أن تكون خليفة كما ود آباء ورام جـدود
فياليت دنيانا تزول وليتنا تكون ببطن الأرض حين تسود

وهذه القصيدة وثيقة تاريخية تبين ما ارتكبه الطغاة مما أغفله تاريخنا المشوه الممسوخ ، فقد سفكوا الدماء البريئة إشباعا لشهواتهم ، وحفروا القبور للضحايا من الشهداء ، وملأوا البحار بجثث القتلى تأسيا بطاغوتهم الأكبر عبد الحميد ، وفتحوا السجون على مصاريعها لغير المذنبين من ذوى النيرة والإباء ، وتلك فضائح يندى لها الجبين ! ! وقد ارتاع أولو الأمر أكبر ارتياع لنشر هذا الهجاء الصريح ، فصودر ما بقى لدى الباعة من أعداد الجريدة ، وقدم إلى النيابة رئيس التحرير ، والشاعر الغيور بتهمة العيب فى الذات المصونة ! ! ثم حكم عليهما بالحبس مدة طويلة ذاق المنفلوطى فيها أهوالا لم يتعودها من قبل ، وعومل معاملة غادرة لا تليق بوطنى يصدر رأيه عن عقيدة وإذ ن ، فتكونت لديه — فى محبسه — من الشعر عقدة نفسية ، ملته يعاف قرضه وتجويده ، فبعد أن خرج من السجن توجهت همته إلى الكتابة النثرية ، فحلق فى أجوائها الفسيحة ، وسال نثره المترقرق مسيل الفرات العذب ، يروى النفوس الصادية ، ويبرد الجوانح الملتهبة ، فهتفت باسمه الأصوات ، ولهجت به أرواح الشبيبة ، وأخذ القراء يترقبون مقالاته الإنسانية كما يترقب الدلج الحائر قبسا من ضياء

أما القصيدة التى جرت عليه السجن والتشريد فقد ذاعت بين القراء ذيوعا عجيبا ، ورغم مصادرة الجريدة فقد تداولها المتأدبون بالنسخ والتدوين ، وبقى من لم يقف عليها متعطشا إلى قراءتها ، متصيدا لها فى مظانها بين مسودات الأدباء ، وفى مطارح السمر ، ومجالس الأندية ، وقد احتال المرحوم الأستاذ سليم سركيس على إذاعتها بطريقة لبقة ، فقد أوعز لبعض الأدباء أن يشطرها ويخمسها بما يغير اتجاهها ، ثم طبع التشطير والتخميس فى صحيفته ، وبذلك أتاح لها أن ترى النور مرة ثانية دون أن تنالها الرقابة السياسية بمصادرة أو تحقيق ، فقرأها من لم يكن وقف عليها قبل ذلك ، وظلت عالقة بالأذهان إلى يومنا هـذا ، وأذكر أنى سمعتها قبل أعوام من شيخنا الراوية الأستاذ أحمد شفيع السيد الأستاذ بكلية اللغة العربية ثم قرأتها عقب الحركة الوطنية الأخيرة بصحيفة الأدب فى جريدة الأخبار .. على أن المنفلوطى لم يترك الشعر مرة واحدة ، بعد هذه القصيدة ، فقد كان يدفعه إليه حنين جياش يغلبه على أمره ، فينظم بعض المقطوعات الرقيقة والقصائد البارعة ، كأشعاره فى القلم وأسماء بنت أبى بكر وبول وفرجينى ، ولكن طاقته الشعرية قد تحولت بلا شك إلى طاقته النثرية ، فبدت كتابته سلسة رقيقة ، تتدفق فيها العذوبة وترن بها موسيقى الشعر وأنغامه ، فتتفتح لها الأحاسيس ، وتتوهج بها العاطفة ، وتنفث فى النفوس ما ينفثه الشعر من روعة فاتنة وتأثير خلاب ، وقد كان المنفلوطى ذا نظر ثاقب فى الأدب العربى وأعلامه ، وكان يستطيع أن يصدر فى تأريخه والتعريف به كتبا متنوعة كما فعل نظراؤه من الأدباء ، ولكنه اقتصر على النثر الفنى المبدع ، ليفسح المجال لإنسانيته الحية ، وشاعريته المتوثبة ، فجاءت آثاره ترجمانا لما حوله من كآبة وشقاء ، وأصبح المصور الأول لعبرات البائسين وهموم الأشقياء ، وهل يبتعد الشعر عن هـذا النطاق ! ! سواء كان مطلق الأعنة ، أو مقيدا بالأوزان ؟ سلام على مصطفى فى رحاب الخالدين من البلغاء ! !

محمد رجب البيومى

الداء والدواء

للدكتور فضلو حيدر

محاضرة ألقاها فى منتدى البردونى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

التعب المزمن

كلنا نعلم أن العمل ضرورى للحياة ونافع للجسد إذا لم يتعد حدود القوى الجسدية والعقلية والنفسانية . وكل تعب اعتيادى يجب أن يزول بعد راحة قصيرة ويتبدل برغبة إلى العمل ثانية . ولذلك يحتاج العامل إلى الراحة . والنوم لا يكفى وحده لإعادة الراحة التامة ؛ بل يحتاج الإنسان علاوة عليه إلى ما ندعوه التسلية والاستجمام . والتسلية تشمل كل الأعمال التى نصرف بها وقت الفراغ بلذة تؤدى غالبا إلى توازن العواطف وإزالة التعب الجسدى والضغط النفسانى . فوقت التسلية ليس وقت « الفراغ » بل هو ثمين جدا فسويعاته تطيل العمر وتجدد القوى . أما إذا أسئ استعمالها فتنعكس الآية فتزهق القوى وتقصر العمر . ومن السبل المفيدة للاستجمام نذكر الرياضة الجسدية والمطالعة النافعة والموسيقى والرقص والفنون وتربية الحيوانات وغرس الجنائن والصيد وغيرها . وكم من المشاهير خلدوا اسمهم بأعمال كانت لهم نوعا من التسلية

ومن أعراض التعب المزمن تهيج الأعصاب وقلة الشهية ونقص رغبة العمل بالرغم من الراحة الاعتيادية ، فينهض المرء صباحا بدون نشاط. فالمتعب حاد المزاج، ضعيف المناعة للأمراض، يعيش تاعسا ويسئ إلى عيلته ورفاقه ، شاذ السلوك، غير مرغوب به فى الأعمال والمجتمعات

ومن مسببات التعب المزمن الاحتكاكات النفسانية كالتردد فى الرأى وعدم الثقة بالنفس وبالغير ؛ فيستنزف المرء قواه فى عراك داخلى بين الإقدام والإحجام وخوف الفشل . ومن أسباب ضعف الثقة بالنفس الجهل وإحجام الفرد عن بحث أعماله بأمانة كى يعلم أسباب الفشل والنجاح . ولو بحث المرء نتائج أعماله لبدل جهله بالمعرفة وخوفه بالثقة . كذلك إذا ساد الحسد والغضب ووخز الضمير والطمع وكثرة الطموح فى سلوك الإنسان ؛ ساد التعب المزمن

ومن مسببات التعب المزمن أمراض القلب والشرايين والسكرى وسوء الغذاء وقلة النوم وفقر الدم والقلق والأقدام المسطحة

فعلى المرء أن يوزع وقته بحكمة بين العمل والتسلية واليقظة والنوم والكد والراحة وأن يصغى جيدا إلى إنذار التعب المزمن ويتلافاه

ومن مسببات الشيخوخه الباكرة تدهن الأوعية الدموية (Altheroma) أى ترسب المواد الدهنية فى الأوردة قبل أوانه ، ويعقب ذلك عادة ترسيب الأملاح الكلسية فتعيق مجارى الدم ويقل غذاء الأنسجة فيحدث من جراء ذلك ضعف القوى جسديا وعقليا وأمراض التجلط فى القلب والدماغ

وبالإمكان أن نكتشف تدهن الأوعية الدموية قبل استفحاله أو ربما نتلافى حدوثه ، أو نؤخر سيره . وذلك بفحص القلب والأوردة والدم والكليتين وبوزن مادة دهنية فى الدم تدعى كولسترول يرجح بأنها السبب الأول فى تدهن الشرايين . وإذا كان الكولسترول فوق المعدل نلجأ إلى الوقاية بتخفيف وزن الجسم وتحوير الغذاء فتمنع أو تحدد المآكل الغنية بالكولسترول كالبيض والزبدة والأدهان . وعلاوة على ذلك تعالج الأمراض التى تؤدى إلى التدهن إذا وجدت فى الفرد وأهمها السكرى والتهاب الكليتين المزمن وإدمان الكحول والمهيجات وباستئصال البؤر الصديدية فى الجسم ، وفوق كل هذا تقنن الحياة بتخفيف الأعمال الجسدية وتربية روح التفاؤل والسرور والاقتصاد فى أشغال القلب والكليتين

٤ الغذاء وطول الحياة

كلنا نعلم أهمية الغذاء فى الحياة . فلا حياة بدون طعام . وإذا لم يكن كاملا فلا يكون النمو تاما ولا الجسم قويا ولا المناعة ضد الأمراض كافية

وتقدر كمية الطعام تقريبيا بحاسة الشبع ووزن الجسم . فلا تأكل أكثر من قابليتك اعتقادا بأن زيادة الأكل تؤدى إلى قوة الصحة . فالجسم يستهلك حاجته فقط وما تزدرده علاوة إما أنه يشوش الهضم أو يصبح عبئا على أعضاء الإفراز أو يترسب دهنا فى الأنسجة ، أو يعرض المرء إلى الصراع والدوخة وأمراض الجلد والأرجية والأوجاع العصبية

والأفضل أن يكون الطعام منوعا لأن الجسم يحتاج لترميم أنسجته وللنمو إلى عناصر متعددة يصعب أن تتوفر فى أنواع قليلة من الأطعمة

والغذاء التام يحتوى على المواد الآتية :

(١) الزلاليات (اللحوم . الجبن . الحليب . الحبوب)

(٢) الأدهان (الزبدة . الزيوت . الشحم)

(٣) النشويات (الأرز . البطاطس. الحلويات)

(٤) الأملاح المدنية (مركبات الحديد والنحاس والفوسفور واليود والمنغنيز وملح الطعام)

(٥) الفيتامينات على أنواعها (موجودة بكثرة فى الحليب والزبدة والكبد والخضرة الطازجة والبيض)

(٦) الماء

والطعام المركب من الحليب والجبن والبيض والكبد والخضر الطازجة والفاكهة يحتوى على كل ما يحتاجه الجسم، وقد لقبت هذه المواد الغذائية المذكورة بالطعام الذى يطيل العمر لأنه تام غذائيا

والفيتامينات والمعادن لا تغنى عن الطعام ألبتة ، ولكنها تتممه ، فهى ضرورية ولا غنى عنها للحياة ، حتى أن الأرض الفقيرة بالمعادن تنتج نباتا فقيرا بقيمته الغذائية . ويسبب نقص المعادن أمراضا عديدة . فنقص الكلس يسبب مرض الكساح وضعف الأعصاب ويعرض إلى أمراض التشنج ، ونقص الحديد يولد فقر الدم ، وقلة اليود تضعف الغدة الدرقية فيتأخر نمو الجسم والعقل . ونقص الفيتامينات تسبب أمراضا عديدة . فالفيتامين A ضرورى للنظر والنمو والمناعة ، و B للغذاء والنمو والأعصاب و D للعظام والنمو والأعصاب و C للكريات الحمراء والأوعية الدموية واللثة والمناعة و E للتناسل ومرض السكر وهلم جرا

ولا لزوم لشراء الفيتامينات والأملاح المدنية من الصيدليات إذا كان الغذاء كاملا والصحة جيدة

٥ وزن الجسم وطول العمر

ولوزن الجسم أهمية كبرى فى إطالة الحياة . ومع أنه لا قانون تام لوزن الفرد الصحى فهو يساوى على التقريب كيلوات بعدد السنتيمترات التى تزيد عن المتر فى طول الشخص . ونقدر أن نقول إجمالا إن الوزن الأفضل لطول العمر هو ما كان ١٠ كيلو فوق المعدل المذكور فى الشبان اتقاء لأمراض الصدر ، وما كان ٥ — ١٠ كيلوات تحت المعدل فى من جاوز الخمسين من السن اتقاء لأمراض القلب والأوردة والكليتين ، وما كان ضمن المعدل المذكور فى من تتراوح أعمارهم بين ٢٥ — ٥٠ من السنين

٦ السلوك وطول الحياة

إن الأمراض التى ذكرتها — أى المكروبية والسرطان والتعب المزمن والشيخوخة وتشوش الغذاء وزيادة أو نقص وزن الجسم ليست خاتمة الأسباب التى تفت من قوانا وتهدم من عمرنا . بل هى ضئيلة إذا قيست بعثراتنا اليومية أى هفواتنا السلوكية التى تدمى كل لحظة نفوسنا هما وغما وحسدا وندما

لقد قيل « قبل الكسر الكبرياء وقبل الهبوط تشامخ الروح » وقال عنترة :

لا يبلغ الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

وقال المتنبى :

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبى ويهرم

وكل منا يخاطب نفسه قائلا :

« كيف يجب أن أسلك فى هذا العالم كى أتبوأ مقاما مرموقا ؟ » أو « كيف أتغلب على معضلاتى اليومية كى أنجح اقتصاديا ؟ » أو « كيف أعدل وأصيب بين نوازع الإقدام وروادع الإحجام ؟ »

يرد سلوك المرء إلى ثلاثة أشكال رئيسية :

أولها السلوك البديهي وهو ما ربينا على عمله وتعودناه في أعمالنا اليومية والمواقف المألوفة. فهو إذن مرآة أخلاقنا وصورة شخصيتنا ، هو حظنا وبختنا نراه في الرجل الهضوم أو الممقوت ، في اللطيف أو الفظ ، في الغيري أو الأناني ، في المتفائل أو المتشائم ، في القدري أو البحاثة . ولا بأس إذا أعدت مرارا وتكرارا بأن مسؤولية الأبوين حيوية في تكوين سلوك أولادهم وخصوصا في السنوات الثلاث الأولى من العمر

والسلوك التقليدي أو الإيحائي أو سلوك القطيع هو الشكل السلوكي الثاني . تسمع كل دقيقة من يقول « حط راسك بين الروس ونادى ياقطاع الروس » أو « كل الناس تعمل هكذا » أو « اعمل مثل فلان تنجح »

ومعلوم عند الجميع أن الناس تسير كالقطعان في الموضة والعادات والتقاليد والحياة الاجتماعية ؛ وهذا النوع من السلوك مفيد جدا إذا قلدنا البرزين والصالحين وهو يمثل الشطر الأكبر من سلوك الإنسان في الحياة

والثالث السلوك الواعي أو العقلي

تبرز أمامنا ، في البيت والعمل والمجتمع ، معضلات ومشاكل جديدة لم نتعودها ولا نعلمها . فالبت فيها على البديهة يؤدي اعتياديا إلى الفشل . فهي تستدعي إذن البحث والتفكير قبل الفصل

فإذا نزلت بك كارثة ، أو هبطت عليك ملمة ، في صحتك أو أعمالك أو علاقاتك الاجتماعية ، فماذا يجب أن تفعل ؟

ابحث أولا معضلتك بحثا وافيا وأمينا . ومتى اكتشفت السبب فأزله مهما كلفك الأمر

وإذا لم يكن بالإمكان إزالة السبب ، ولم يكن من بد لوقوع المصيبة ، وافق نفسك مع الحالة الجديدة مهما كانت بدون وجل أو هم أوحسد . فالانتصار لك يا أخي إذا رضيت بالواقع فعشت في الحقيقة دون أن تفقد صحتك ولذة عيشك تحرقا على ما فات ، لأن لديك دائما متسعا من الزمن ومجالا للعمل وحافزا من الأمل

ولكن إذا أظلمت الدنيا في عينيك ، فاستحال عليك الفصل ، واستوى لديك العقل والجهل ، تخشيت الهبوط والاضمحلال فلا تنس عند ذلك ثلاثة تفزع إليهم في الملمات :

أولهم صديقك الصدوق — وما أثمنه — ولربما تجده بين رفاقك وذويك ، أو بين كتبك ، أو في عالم مجرب ، فاصغ إليه بانتباه فلربما يكون في قوله السبيل السوي

وثانيهم طبيبك ، ليس كمستشار صحي فقط بل كرجل تثق به إلى أبعد حدود الثقة ، تسر إليه المكتوم ، وتفشي له الكروب وتلقي على عاتقه همومك

وثالثهم عند اشتداد الملمات ، وتلبد الظلمات وسيادة اليأس هو طب النفس ، فإما أن تصغي إلى صوت الفلسفة يقول لك إن أشد همومك لا بل كلها من عبادة ذاتك . فأنت ذرة من ذرات هذا الكون تمشي عليك نظاماته من مشيئة أو سار كما تمشي على سائر أجزائه . فانس بأنك من شعب الله الخاص وانظر إلى معضلاتك بعين البحث العلمي والتفسير الفلسفي وهكذا تخرج من عذاب أنانيتك ، أو فاتبع الدين فتجد فرجك بالإيمان . فكم من المرات فرج الإيمان عن المحزون والمغبون وشفى المقعد والأعمى وفتح قلب اليائس بالأمل فأنار ظلمات النفس بقبس قصر عن أدائه العلم

وخلاصة القول أن العلل التي تقصر العمر تأتي إما من أسباب خارجية كالمكروبات والغذاء والفواعل الطبيعية ، أو من أسباب داخلية كالسرطان والشيخوخة وأمراض السلوك

وعلاجها مركب من ثلاثة عناصر — التربية والمعرفة والأمل — ومن ثلاثة نظائر لتلك العناصر — المحبة والحكمة والإيمان

وسعيد من حظي بالتربية الصحيحة والعواطف السامية
ومن حاز المعرفة العالية والحكمة المبدعة
ومن نصب في وجدانه هدفا ساميا يؤمن به

فضلو حيدر

من رجال الفكر في تركيا :

أحمد آغا أوغلو

للأستاذ عطا الله ترزي باشي

« يتابع الأستاذ أحمد مصطفى الخطيب على صفحات الرسالة نشر ترجمة الكتاب الموسوم « في بلاد الأحرار » للكاتب التركي أحمد آغا أوغلو . وبهذه المناسبة رأينا أن نقدم للقراء كلمة عن حياة هذا المفكر وعن قيمته الثقافية معتمدين في ذلك على أهم المراجع التركية . ويمكن لمن يجيد هذه اللغة مراجعة تلك المصادر وقد أثبتناها في نهاية هذا المقال » ع . ت

توطئة :

يعد آغا أغلو في طليعة المفكرين الذين خدموا في حقلي الصحافة والتعليم في تركيا . وهو من النوابغ المعروفين . لمع نجمه في الأوساط الغربية حين قام يعرف العالم الشرقي على صفحات الصحف الأوربية للأوربيين ، ويوضح الفكرة الإسلامية المقدسة ، مبيناً لهم قيمة المرأة في المجتمع الإسلامي والحقوق التي وهبتها لها الشريعة، راداً عليهم سفاسفهم واعتقاداتهم الخاطئة في الإسلام

وكان يجيد اللغتين الروسية والفرنسية إجادة تامة ، فنشر بهما أبحاثاً قيمة في الصحف الغربية دفاعاً عن الشرق والشرقيين والدين ، كان لها الأثر البعيد في نفوس الغربيين . ولابدع في ذلك فإنه كان عليماً بمسائل الشرق وملماً بدقائق الشرع . وهو قانوني ضليع امتهن التدريس في كليات الحقوق زمناً غير قليل ، وألف كتباً في القانون الدستوري نال بها الإعجاب والتقدير

ولم تنحصر خدمات آغا أوغلو في هذه الساحة بل تعدتها إلى ساحات أخرى . فقد خدم الإسلام بدعوته إلى ترك المشاحنات المذهبية الدائرة بين السنة والشيعة ، وسعى إلى إزالة العداوة والبغضاء بين المسلمين ، الناشئة عن الطائفية في ذلك الحين . فدعا بالمسلمين إلى الاتحاد والوئام بدل التفرقة والانقسام . وقد جاءت معالجته لهذه المسائل — بسبب إتقانه اللغتين العربية والفارسية — مصيبة مفيدة . ولا غضاضة في ذلك فإنه عالم بالأوضاع الاجتماعية القائمة بين الأمم الإسلامية، ومطلع على العادات والتقاليد السائدة بين الطوائف والنحل

ولا ينكر أن آغا أوغلو كاتب اجتماعي قدير يسحر الإنسان بأسلوبه القصصي الرائع ، ومعروف بدقة اختياره المواضيع ، وصوغه إياها في قالب أبي بديع . فيستمتع القارئ بلذتها ولا يكاد يبدأ بقراءتها حتى يأتي إلى نهايتها دون أن يشعر بألم أو يحس بملل

حياته :

ولد آغا أوغلو سنة ١٨٦٩ م في مدينة (شوشه) الواقعة في سهل (قره باغ) من بلاد آذربيجان . وكان والده (ميرزا حسن) عالماً فاضلا (خواجه) . أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة في مدارس بلدته ؛ وأتم بعد ذلك تحصيله الإعدادي (الثانوي) في مدينة (تفليس) ومن ثم ذهب إلى (بطرسبرغ) وذلك بغية إكمال دراسته العالية . وقد نجح في امتحان القبول إلى المعهد الهندسي (Institut Politechnique) ولكنه أصيب برمد في عينيه فعاد إلى بلدته مضطراً

وفي سنة ١٨٨٨ قصد إلى باريس والتحق بكلية الحقوق هناك فنال شهادتها (الليسانس) مع دوجة (Collég de France) وخلال وجوده في باريس تعرف بكثير من المفكرين واتصل برجال جمعية « الاتحاد والترقي العثماني »[1] وبدأ ينشر مقالات عن الشرق في الصحف الفرنسية . وقد ظهر أول مقال له في صحيفة « Journal des Debats » ولما يتجاوز من العمر عشرين عاماً

وعاد إلى بلاده سنة ١٨٩٤ م فعين مدرساً في مدارس (آذربيجان) . وهناك سعى مع بعض زملائه وعلى رأسهم إسماعيل غاسبرنسكي وحسين زاده وعلى مردان في إحياء الحركة القومية وتنميتها . وتمكن من إصدار مجلتين تركيتين عالج فيهما كثيراً من المواضيع الاجتماعية الخطيرة . وكان يبغي من وراء

(١) ويقول الأستاذ سرور اسكيت إنه انتسب في ذلك الوقت الى هذه الجمعية وإن يرى البعض الآخر أنه انتمى اليها بعدعودته الى تركيا . راجع المصادر في آخر المقال

ذلك إصلاحاً عاما شاملا للأقوام التركية الساكنة فى بلاد آذربيجان ، والجماعات الإسلامية القاطنة فى بقاع روسيا المختلفة . فاضطهدته الحكومة الروسية فجاء إثر الانقلاب العثمانى فى سنة ١٩٠٨ إلى تركيا . فعينته الحكومة التركية مفتشاً فى وزارة المعارف . ولكنه تخلى عن هذا المنصب بسبب انتمائه إلى حزب الاتحاد والترقى

واتصل بعد ذلك بالمفكر التركى الكبير (ضياء كوك آلب)(٢) وببعض الكتاب الآخرين واشتغل معهم فى ساحة الحركة القومية، فأسسوا مجلة « تورك يوردى » لتكون لسان حالهم فى معالجة المسائل الاجتماعية والوطنية

وفى سنة ١٩١٠ عين أستاذاً فى دار الفنون بالآستانة لتدريس مادتى « المدنية التركية » و « اللغة الروسية » وكان قد أخذ على عاتقه فى نفس الوقت رئاسة تحرير صحيفة « ترجمان حقيقت »

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى رشح نفسه للنيابة فانتخب فى سنة ١٩١٥ نائباً عن ولاية (آفيون) . ونال فى عين الوقت عضوية الهيئة المركزية لحزب الاتحاد والترقى

واختير فى سنة ١٩١٧ مشاوراً سياسيا فى الجيش التركى المحارب فى جبهات قفقاسيا . وعلى أثر انتهاء الحرب عاد إلى الآستانة فنفاه الإنكليز إلى جزيرة (مالطه) . ولبث فيها ثلاث سنين تمكن خلالها من تأليف كتابه الموسوم (المدنيات الثلاث) وعندما أطلق سراحه عين مديراً عاما للمطبوعات (٣)

وبعد قيام أتاتورك بانقلابه المعروف وتأسيسه حزب الشعب الجمهورى انتسب آغا أوغلو إلى هذا الحزب ورشح نفسه للنيابة فانتخب مرتين نائباً عن ولاية (قارص) الواقعة بالقرب من الحدود الروسية . وكان يشغل خلال هذا الوقت كرسيا فى كلية الحقوق بأنقره ويقوم برئاسة تحرير جريدة « حاكيتمليت »(٤)

وعندما أتاح أتاتورك لجماعة من النواب فرصة تأسيس حزب معارض فى تركيا ، كان أغا أوغلو فى طليعة الزعماء الذين أسسوا حزب المستقلين المعارضين . ولقد رأى أتاتورك ، بسبب المطاحنات التى دارت فى المجلس والتى أدت إلى حدوث انشقاق بين صفوف الشعب ، رأى أن العقلية السياسية فى تركيا لم تنضج بعد ، وأن قيام حياة ديمقراطية سليمة فى البلاد أمر عسير ، فأصدر أوامره بحل هذا الحزب . وعلى أثر ذلك انصرف أغا أوغلو عن الحياة السياسية ورغب فى التدريس . فانتدبته كلية دار الفنون بالآستانة أستاذاً لتدريس مادة « تاريخ التشريع التركى » . وظل يدرس هذه المادة حتى أحيل فى سنة ١٩٣٣ إلى التقاعد

وفى هذه السنة أصدر جريدته المسماة « آقين » . وقد مضى سنواته الأخيرة من حياته فى النشر والتأليف . وتوفى فى اليوم التاسع عشر من مايو سنة ١٩٣٩

آثاره :

وندرجها بأسمائها العربية وفقا لتاريخ نشرها :

المذهب الجعفرى ومصادره ١٨٩٢ ، الإسلام وعلماء الشيعة ١٩٠٠ ، المرأة فى عالم الإسلام وفى نظر الشريعة ١٩٠١ ، المدنيات الثلاث ١٩٢٠ ، الهند وإنكلترا ١٩٢٧ ، فى بلاد الأحرار ١٩٣١، أتيكا (ترجمه عن كروبوتكين ١٩٣١) ، ماذا أنا ١٩٣٩ ، التشكيلات الأساسية التركية (محاضرات) ، تاريخ التشريع التركى (محاضرات) ١٩٤١ ، لا يخلو عن القلب (٥) ، إحتلال أم انقلاب ١٩٤٢

والمؤلفات الأربعة الأخيرة قام بنشرها ولده النجيب معالى عبد الصمد آغا أوغلو (٦) الذى يحاول نشر بقية آثاره غير المطبوعة . ومنها : الأدب الروسى ، مذكرات ، الثقة بالدستور ، الانقلاب التركى .. وغير ذلك

المصادر :

(١) سرور اسكيت : دائرة المعارف الشهرية ج٣ ، ص ٧٨٤ طبعة سنة ١٩٤٦ . (٢) إبراهيم علاء الدين : مشاهير الترك ص ١٧ ، ط ١٩٤٦ (٣) دائرة المعارف التركية « أينونو » ج ١ ص ٢٢٥ ، ط ١٩٤٥

كركوك — العراق عطا الله ترزى باشى

(٢) انظر عن هذا المفكر وعن نظرته فى القومية ، مجلة الرسالة العدد ٨٦٤

(٣) وبسمى فى العراق مدير الدعاية العام

(٤) ومى لسان حزب الشعب الجمهورى ولا زالت تصدر حتى اليوم بعنوان « أولوس »

(٥) واسمه فى التركية « كوكلسز أولماز » بمعنى لا يكون بغير قلب . وتعبيرنا الأول أنسب للترجمة

(٦) مساعد رئيس الوزارة التركية فى الوقت الحاضر وأحد أقطاب الحزب الديمقراطى

شلر

للكاتب الكبير توماس كارليل
ترجمة الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

— ٣ —

وطبيعة الكتاب وما أيقظه من رغبة جامحة لفتت الأنظار إلى الأحوال الخصوصية للمؤلف، ولم تكن هذه المأساة وحدها هي التي جلبت الانتباه؛ بل إن جميع ما كتبه ووجد لهسبيلا إلى النشر والذيوع من الكراسات الدورية الأخرى أوضحت بجلاء بأن هذا الإنسان لم يكن شخصا عاديا. وقد أغاظت العواطف الحادة التي أبدتها مأساة (اللصوص) كثيراً من الأشخاص الرصينين، وقد كان لقابلياته التي لا تجارى وإكثاره في التعبير عن مكنونات نفسه أثرها في تعكير القضية أكثر فأكثر. وأما ما يخص رؤساء شلر فلم تكن تهمهم مثل هذه الأشياء ولم يفهموا منها شيئا يذكر، وقد يكون شلر عبقريا ولكنه كان خادما خطرا لصاحب السمو دوق (فرتمبرك). ولم يقتصر الأمر على الناس الفضوليين في القضية؛ بل إن ذلك قد تعدى حتى إلى الرعاة في جبال الألب. وقد أصبح قضاة (كرسنز)[1] بعد قراءتهم لهذا الكتاب يشعرون بماله من تأثير سيء في الناس، مما حدا بهم أن يشكو من ذلك في جريدة (هامبورغ كورسبوندنت)، ثم أعقبوا ذلك برفع القضية أمام الدوق المعظم». ولما اطلع الدوق على هذه الوضعية ساءه ذلك وعبر عن عدم استحسانه عن أعمال شلر بعبارات صريحة نابية جافة. وأخيراً قدم شلر أمامه، فما كان من صاحب السمو إلا أن شرح له سخطه على أخطائه الأخلاقية والسياسية كما استهان بقيمة مؤلفه الأدبية. ولكن رأى الدوق لم يلق رضاً من شلر، وقد انتهت المواجهة بدون جدوى بسبب إصرار الطرفين على رأيهما، وبعد ذلك أمر الدوق بأن ينصرف شلر إلى دراسته الطبية، أو على الأقل ألا ينظم شيئا من الشعر وينشره بدون الحصول على موافقته. ولم يقتصر الأمر على هذا فقط؛ بل إن كثيراً من التقريع كان في انتظاره. فكل جهوده في أداء واجبه على أحسن وجه كانت تفسر تفسيراً خاطئا وكان يعاقب على أبسط هناته أقسى العقاب. لقد انكمشت روحه، لما أصابها من إنهاك وتزيف في النضال المرير ضد العوائق المثيرة المتمثلة في الاضطهاد اللانهائي من أناس لم يعرفوا عنه شيئاً، ولكن سوء الطالع وضع مصيره بأيديهم القذرة. وقد طافت في ذهنه فكرة السجون والسجانين فعذبته تعذيباً مرا، كما أنه فكر كثيراً في الوسائل التي يتذرع بها للتخلص من عذاب السجن الذي كان ينتظره في كل يوم، فأراد نبذ الشعر الذي كان له بمثابة ينبوع السرور ومصدر الهموم في الوقت ذاته، واعتزاله هنا — لو قدر له أن يقع — لاعتبر حكما بالإعدام على كل شيء سام ومفرح في نفسه وعلى القيم التي كان يعتز بها أشد الاعتزاز[2] »

وقد دفع الشعور الطبيعي المؤلف اليافع على الجسارة للذهاب سرا لمشاهدة تمثيل مأساته في مانهايم. ولم يستره هذا التنكر، فقد ألقي القبض عليه بعد أسبوع من ذلك بسبب إساءته هذه، ولم يمنعه العقاب الذي أنزل به من الاجتراء مرة أخرى وبالأسلوب عينه. وقد علم أن هناك خططا جديدة توضع ضده، وقد ألمح له بعضهم ببعض الوسائل الشديدة التي تنتظره إن هو أصر على غيه ولم يفق من غفوته

ولم يفد في ذلك الموقف العون الذي قدمه له (البرغ) الذي كان أمله الوحيد في التخلص من هذه المضايقات. فرأى شلر نفسه محاطاً بالمصائب المختلفة والشرور المرعبة من كل جهة، وقد أثار ذلك غضبه أشد الإثارة ولكنه اضطر إلى السكوت وارتداء قناع الصبر، وأخيراً لم يطق احتمال هذا الضغط الجنوني أكثر مما تحمله. لقد قرر أن يكون حرا مهما بلغ الثمن، وقرر كذلك أن ينبذ كل الفوائد المتأتية من جراء السكوت، فترك البيت الذي كان يعيش فيه، وهو بيت مربيته وخرج فريداً لا يلوى على شيء باحثاً عن عمل في سوق الحياة الكبيرة

استغل شلر وصول أحد الأمراء والدوقات إلى مدينة ستتنارد

(١) اسم مكان في ألمانيا

(٢) حياة شلر

والضجة التي أثيرت في الترحاب به والحفاوة التي أسبغت على المدينة حلة من الزينة ، وهكذا تمكن من التخلص وسط هذا الزحام من مراقبة العيون والأرصاد لانشغالهم بهذا الاستقبال ، ففر من المدينة في أكتوبر سنة ١٧٨٢ وكان عمره آنئذ ثلاثاً وعشرين سنة [٣] . وفي مثل هذه الظروف شب شلر عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال من القوة والبأس

وقد أثرت هذه العقبات والنكسات في سلوكه ولكن قوته الخاصة تمكنت من الغلبة في النهاية … أما طفولته فقد كانت هانئة هادئة ، كما سبق أن ذكرنا ذلك في حينه، لأن والديه أسبغا عليه جوا من المحبة والحنان ، فجعلاه يشعر بالانشراح والسرور وبالسعادة الحق

لقد قدر لهذه البذرة غير المرئية أن تنبت يوماً ما وأن تصبح شجرة التقى والفضيلة الرقيقة ، ومن حسن حظه أن الهجوم العنيف الذي شن عليه لم يقع إلا بعد أن أكمل عدته لمواجهته بعد أن أجمع قوته . ويعود الفضل الأكبر في فوزه النهائي في هذا النضال الهائل إلى أساتذة مدرسة ستنادر ودوقهم الأعمى . ومع ذلك لو كان النظام الذي اتبعوه أكثر مدنية وأقل تعصباً لما خسرنا شاعرنا أيضا ، لأن بركان شعره كان كامنا في أعماق نفسه ولا يمكن أن يبقى مثل هذا البركان صامتا طويلا ، بل إن انفجاره كان محتما في كل يوم لا بل في كل ساعة . وقد أثرت هذه العاملة الخشنة في سلوك شلر فأججت حساسيته وزادت من رقته وإرهافه ، وخصوصاً إذا عرفنا مدى اتصال ذلك كله بطبيعته ذات الفعالية الذاتية ، ولو كانت لديه ميول أقل تأججاً وأبرد محبة ، لرأينا في الوقت المناسب كيف ينتهي كل هذا إلى عزلة خانقة خائفة ووحشية، او حتى إلى مقت شديد للانسانية . وإذا نظرنا نظرة عامة إلى شلر في مثل هذه الرحلة لظن بعض المتتبعين القصيري البصر أن شلر ضعيف لأن مثل هؤلاء المتتبعين يخلطون بين الرقة والضعف على اعتبارهما شيئا واحدا . فعنصر القوة الذي يتمتع به وهو أصل كل تقدم يجعله يتصرف على رغائب نفسه ، لقد كان له قصد وغاية فيما يعمل ، وكان يحب الجمال الروحي بكل جوارحه وبكل نفسيته ، وهو مستعد في سبيل الوصول لمثل هذا الهدف إلى تقديم التضحيات . لقد ظهر عمق هذا الهدف كنزعة جامحة ، وتحت أشكال غامضة ، وقد ازدادت قوة على قوة كما اتسمت بالوضوح في النضال والمقاومة فيما يجب الانتصار فيه.. إن لهذه النكسة في حياة شلر أهميتها في التأريخ الأدبي : وهذا التعذيب في سبيل الضمير ، وهذا ما وقع للهراطقة والزنادقة في الدين أكثر مما وقع للهراطقة في الأدب . هذا النضال الأعمى الذي قصد إلى إخماد النور السماوي في الروح الإنسانية ، وقد انتهى هذا النضال إلى البوار والفشل كما انتهى إلى ذلك في الأدب أيضا

وما من شك أن ما فعله حكام محكمة التفتيش من أعمال مرعبة وجرائم نكراء لم يكن وحيداً في بابه وفريداً في نوعه.. لأن حكام محكمة التفتيش الأدبية قد خلفوا السابقين ، ومع ذلك فلم ينته أمرهم إلا كما انتهى أمر أسلافهم.. لأن تأثيرهم كان مؤقتا وعرضيا ولم يؤد إلى أية نتيجة تذكر

وما كنا لنطيل النظر في هذه الإجراءات إلا لأن ذلك سيقودنا إلى أزمة شلر الكبرى ولأنها تظهر لنا لأول مرة إرادته وهي تؤكد نفسها ، وتبين بصراحة القانون الذي سيسطر على مستقبل حياته، وقد قال هو نفسه في خصوص ذلك (لقد عشت فقيراً معدماً ويائساً) ومع ذلك فذهنه ظل في مكانه محافظاً على مواهبه كما أن موجوديته الحية ظلت صامدة كالطود الأشم ، ومن هنا يجب اعتباره أديباً وهو سيبقى كذلك في سجيته وسلوكه وقد قال بهذه المناسبة: « لقد انحلت جميع اتصالاتي السياسية ، وأصبح الرأي العام كله لي ، إنه دراستي ، إنه سيدي ، إنه موئلي ، وإلى الرأي العام فقط تعود حياتي ولن أقف أمام أية محكمة أخرى ، وهذه المحكمة بالذات هي التي أعتبرها وأخشاها . يطوف أمامي الآن خيال من الخيال كلما قررت أن أصفد نفسي بقيود غير حكم العالم ، ولن أستأنف حكمي إلا أمام محكمة روح الإنسان» [٤]

---

(٣) حياة شلر ٣٢ ـ ٣٩

(٤) مقدمة ثانية

وسنجد فى حياته اللاحقة وحدة نبيلة متماسكة بما فى ذلك من اختلافات خارجية ، كما أن الهيام بالأدب والنزعة التى تهزأ بالمخاطر لازمتاه طويلا ولم تتركاه وحيداً فى نضاله الشريف . فنراه متجولا فى العالم ناظراً إليه فى مختلف الصور والأشكال والألوان ، ونراه كذلك ممتزجا بمسرات الحياة الاجتماعية فيصبح زوجاً وأبا ويجرب مصائر الناس ، ولكن الكوكب الساطع الهادى كان قائده الذى أرشده فى متاهات شبابه وظل نور هذا الكوكب ساطعاً مدى حياته . وكان شلر فى كل العلاقات والأحوال نقيا طاهراً لطيفاً حتى أنه كان قليلا ما يخطئ

لقد كان هدفه الأعلى بعد الكمال الروحى هو الهيام بالشعر ، وهذه العاطفة كانت من القوة والشدة بحيث أصبحت نقية طاهرة وعالية سامية، وكانت مصدر سلوكه الحسن وينبوع شعوره النبيل الفياض . وهذه العاطفة يجب أن تكون لدى الجميع نقية وسامية لأنها — فى أى مظهر كان — هى وحدها هدف الإنسان الحق ، وهى موهوبة لدى كل إنسان ، لأنها لا يمكن أن تطمس كلية ، ولكنها تبقى سلبية عند كثير من الناس ، أما البقية من الناس والذين تبلغ فيهم العاطفة هذه مبلغاً كبيراً من الفعالية فسيكونون شعراء قولا أو عملا ، وقلما تكون الأهداف السامية بعيدة عن المطامح المبتذلة والأهداف الأرضية التى تشوه هذه المظاهر كلية . فعند شلر إذن كانت هى الهدف الأساسى الذى تتجمع حوله جميع الأهداف الثانوية الأخرى ، ولم تكن الشهرة نفسها والتمايز العالى ليعنيه فى قليل أو كثير ، فسلوكه اللطيف المخلص هو الذى كان يجذب إليه الأصدقاء ، وقد كانت حياته المستقيمة المسالمة مدعاة احترام الجميع ، والذين عرفوه خير المعرفة أحبوه أشد الحب

علاقته بجوته

ولعل أهم ظرف أحاط بحياته الأدبية هى علاقته بجوته.. ولو استعملنا تعبيرنا السابق لقلنا : لو فرضنا أن شلر كان قسا لكان جوته مطرانا ، وهذا الأخير هو الذى رسمه للكهنوت ومنه حصل على النور القدسى . لقد كانت علاقتهما حدثاً قل نظيره فى تاريخ الأدب للأسف الشديد ، وكانت علاقتهما علاقة خالصة من كل زغل وبعيدة عن كل أنانية كما كانت الحالة بين (سوفت) و (بوب) [٥] اللذين كانا يتقاسمان السراء والضراء وتجمعهما رابطة الكبرياء . وقلما يتفق الناس بمثل هذه الأحوال ولأغراض من هذا النوع إذا وزنت فى الميزان الاقتصادى كما ساوت وزن خيوط المنكبوت [٦] . ويظهر أن بعض العقبات الدولية وقفت فى الطريق كما أن بعض التحامل من قبل الطرفين وقع وكان الواجب يقضى بالتغلب عليه . ولعدد من السنين لم يكن فى الإمكان تقابلهما إما لسبب عرضى أو جوهرى ، وكانت مقابلتهما الأولى غير مشجعة . يقول شلر فى هذه المناسبة : (إن هذا الاجتماع لم يقلل من الفكرة العظيمة التى استحوذت على والتى كنت قد كونتها مقدماً عن جوته . ولكننى أشك فيما إذا كنا سنتصل فى المستقبل مع بعضنا البعض الآخر اتصالا وثيقاً . فكثير من الأشياء التى تهمنى لم يعد لها أى ذكر لديه ، وطبيعته فى جلتها وتكوينها فى الأصل تختلف عن طبيعتى . كما أن عالمه ليس عالمى . ويظهر أن أساليب فهمنا للأشياء تختلف اختلافاً بيناً . وطبيعى أن اتحاداً من هذا النوع لا يمكن أن ينتج ألفة وثيقة ثابتة) ومع ذلك فبالرغم من بعض التحامل الخطير من قبل جوته ، إن لم تقل شيئاً من الحسد الوضيع الذى كان من الممكن سيطرته على أى شخص آخر فى مثل هذه الظروف نفسها ، نقول بالرغم من هذا كله فإن الذى لم يكن محتملا وقع ، وكانت النتيجة أن توثقت الصداقة بينهما واشتدت الألفة ولم يفرق بينهما غير الموت . وإذا نحن اعتبرنا الوضعية النسبية لكل من الطرفين وسلوكهما فى هذه القضية فعلينا أن نعترف أن كلا منهما كانت لا تعوزه الفضيلة الاجتماعية كما أن حب الإيثار كان مستحوذاً عليهما . والحال مع جوته خصوصاً بينة وواضحة، فهو كان أكبر سنا وأعظم الاثنين..فهو لم ينتظر شيئاًبالتقارنة لايعطى . أما هذه الوحدة الأخوية فيمنعنا ضيق المجال من شرح طبيعتها وبيان تطورها ، وهى ستعطينا دليلا آخر تأييداً لما قاله (يونغ ستيلنغ) (بأن قلب هذا الإنسان الذى يعرفه القليلون هو نبيل وصادق كعبقريته التى يعرفها الجميع)

(٥) الأول أديب إنجليزى كبير معروف بكتابه (رحلات كوليفر) والثانى شاعر إنجليزى مشهور بسخريته

(٦) مثل انكليزى معروف

للكلام صلة

يوسف عبد المسيح ثروت

٤ ـ فى بـــــلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ آغا أغلو أحمد

للأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

الحرية والجاسوسية

— ولكن أيها الأستاذ ! أليس احترام الرجال العظام وتبجيلهم واجبا تقضى به رعاية الحقوق ، والعرفان بالجميل ؟

— بلا ريب ! ولكن هناك حدودا بارزة بين خالص الاحترام والتبجيل . . ومحض التملق والرياء !

— كيف ذلك ؟

— إن الاحترام والحب الحقيقيين يتطلبان الصدق والإخلاص، وشرطهما الأساسى أن تقول ما تفكر فيه أو تشعر به بغير زيادة أو نقصان . .

وعلى سبيل المثال أقول : ألا ترى لزاما عليك أن تصرح بما تراه من النقائص فى أقرب الناس إليك ، كابنك ، أو أخيك ، أو صديقك البار ، وتواجهه بالنصيحة والإرشاد ، بنية تقويم اعوجاجه ، وإصلاح عيوبه ! ثم ألا تعتبر مثل هذا العمل دينا عليك واجب الأداء تجاهه ؟

والرجال العظام الذين تنجبهم الأمة ، هم أعز وأغلى من الابن والأخ والصديق ، لأنهم ينابيع الهناء ، وأسس السعادة العامة المشتركة فى الوطن

إذن أفلا يكون دينا علينا واجب الأداء أيضا أن نكون تجاه هؤلاء أصدق وأشد إخلاصا ؟

ولكن المرائين والمنافقين لا يصنعون إلا نقيض هذا تماما . . فيخلعون على العظماء نعوتا زائفة ، وينسبون إليهم مواهب وكفايات ليست لهم ، ويظهرون جهلهم ونقائصهم وأخطاءهم بمظهر الفضائل العالية والمزايا النادرة ، ويكتمون عنهم الصدق والحقيقة ، ويدفعون بهم إلى الطرق الملتوية والمآزق . . ويرتكبون كل هذه الجرائم فى سبيل الحصول على منافع شخصية محضة دنيئة فقط

وفى الحق أن الرجل المتملق المتزلف لا يستطيع أن يكون صديقا حقيقيا لأى إنسان . . إذ أن فضائل سامية كالصدق والاستقامة والإخلاص ليست من نصيب ذوى النفوس المنحطة السافلة . .

ففى أول إدبار الحظ يقلب هؤلاء ظهر المجن للرجال العظام ويشرعون فى التهكم ونكران الجميل ، وشن الحملات الشعواء عليهم ، ومن ثم يأخذون فى الالتفاف حول السيد الجديد الحائز القوة

— كم أنت محق فى هذا أيها الأستاذ ! لقد شهدت بعينى غير مرة مناظر مؤلمة من هذا التقلب الفاضح .. وكم من مرة ضغطت فيها على أعصابى لكى لا ينقلب تعلق بوطنى مقتا وكراهية ، وحبى لأبناء بلادى حقدا وضغينة ..

— أجل ! إن الرياء والتملق هى الطريق الخطر الذى سيؤدى بالمجتمع أيا كان إلى الانحطاط والتدهور لا محالة . .

— إذن لماذا يميل إليهما الناس ؟ ولماذا لا يرضون بهما بديلا ؟

— لأنهم ضعفاء ، ومع ذلك فالذنب كله يقع على عاتق المجتمع وحده لكونه هو المكلف بمنع انتشار الرذائل ومكافحة الفساد والانحلال الخلقى أولا وآخرا . .

أما إذا تقاعس المجتمع عن أداء واجبه بهذا الشأن فسوف يكون هو نفسه الخاسر فى النهاية بغير شك

— لم أفهم أيها الأستاذ !

— إذن لأتبسط فى القول . . إن الرجال العظام فى المجتمع هم بمثابة الزهرة أو الثمرة من الشجرة ، فكما أن الزهر أو الثمر هما اللذان يقيان على نوع الشجرة ويضفيان عليها صفة الخلود ، فكذلك العظماء هم الذين يمشون فى عروق المجتمع دم الحياة ، ويمهدون أمامه سبل العيش ، ويفتحون أمامه أبواب الارتقاء والتقدم

وفى الحق أن قوة كيان المجتمع وتماسكه لا يقاسان إلا بمادات وقيم بعض العظماء الذين تنجبهم الأمة فى مختلف ميادينها الفكرية

والأدبية والعلمية والعسكرية وغيرها

وفى مثل هذه الحال يكون العمل لتنشئة هؤلاء وإعدادهم ، ثم الحرص على سلامتهم.. مسألة حياة للمجتمع ذاته ليس إلا . .

والمجتمع الرشيد هو الذى يحاول دائما أن يفيد لنفسه أعظم فائدة من عظمائه عندما تسنح له فرصة الحصول عليهم ، ولا يدع أن تمر أى لحظة من حياتهم دون أن يستغلها لحسابه أحسن استغلال ، ويخلق منها مصدر خير وبركة للجميع بغير استثناء .. ذلك لأن العظماء لا يظهرون كل يوم أو فى أى زمان ، فقد يصادف أن الأمة الواحدة تحبل طوال عصور مديدة ثم لا تلد إلا واحدا من هؤلاء ، وقد يتفق أيضا أن عملية الولادة هذه تصبح قاسية ومخيفة جدا

لهذا فالمجتمع الذى يعرف قدر نفسه يحرص على أمثال هؤلاء الأبناء البررة كالحرص على بؤبؤ العين ، ويبذل كل ما فى وسعه لكى يفيد من حياتهم أعظم ما يمكن من الفوائد . .

وهذا هو السبب أيضا فى أن المداهنة والتملق يعاقب المرء عليهما فى بلاد الأحرار بعقوبة شديدة كالرجم بالأحجار ، وذلك لكونهما من أفتك وسائل الإفساد والتخريب

— فهمت أيها الأستاذ ! وقد أثار إيضاحكم هـذا جوانب كثيرة من الماضى المؤلم القاتم أمام ناظرى ، فهل تتفضلون الآن بشرح المادة الرابعة من الدستور ؟

— بكل ارتياح ! تنص هذه المادة على أن الذين يشتغلون بالجاسوسية لا يستأهلون أن يكونوا من مواطنى بلاد الأحرار ، ذلك لأن الحرية والجاسوسية لا يمكنهما أن يجتمعا على صعيد واحد أو يأويا تحت سقف مشترك ؛ فلا حرية حيث تسود الجاسوسية ، ولا جاسوسية حيث تسود الحرية

ولهذا ترى دوائر الاستخبارات وأوكار الدس والمؤامرات من أقوى الوسائل الفعالة التى يستند إليها الاستبداد فى توطيد دعائم حكمه ، وتثبيت أركان جبروته وطغيانه

أما هدف الاستبداد الأوحد فى هـذا الخصوص ، فهو أن توهن الروابط ، وتفكك أواصر الثقة فى نفوس أبناء الوطن الواحد ، وتنفخ فيها روح الشك والارتياب ، وليست ثمة وسيلة أقوى تمكنها من بلوغ هذا المأرب من الجاسوسية بلا مراء . .

فنى المكان الذى تنفق فيه سوق الدس والوقيعة لا تجد أحدا يثق بغيره ؛ بل يجفل ويرتعد كل واحد من الآخر . . فيتلاشى بذلك الصدق ، وتنتفى الصراحة بين المواطنين ليحل محلهما الكذب والخداع والنميمة .. وهكذا يستحيل القيام بأى عمل اجتماعى تعاونى نافع ، مهما كان نوعه أو كانت قيمته ..

والجماعات البشرية التى يصل بها الحظ العاثر إلى هذه المرحلة من الانهيار تكون أشبه شئ بقطعة مهلهلة من النسيج انحلت خيوطها ، وتفككت أجزاؤها ، فتفقد كل قابلية فى نفسها لأى نوع من أنواع الكفاح ، وتصبح لا هى قادرة على منازلة الاستبداد ، ولا هى مستطيعة السير موحدة القوى فى مسالك العلوم والفنون ، أو الضرب فى آفاق التجارة والمعاملات وغيرها من مقومات الحضارة الحقيقية فى هذا العالم

وطبيعى بعد ذلك أن لا تستطيع بلاد الأحرار الرضا بما هو من شأنه إلحاق كل هذا الأسى بكيان المجتمع ، واستجلاب كل هذه الويلات والكوارث له ..

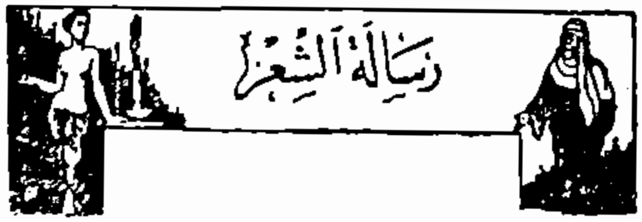
إننا نغرس فى نفوس مواطنينا شعور الكراهية والبغضاء نحو هذا الداء الوبيل منذ نعومة أظفارهم وعهود طفولتهم ، ولا تنظر نظرة ارتياح وتسامح إلى شكاوى أبنائنا بعضهم من بعض ، ونعاقبهم بقسوة متناهية على حوادث التهم والافتراءات التى تحدث بينهم ، ونشهر بالصبى الذى يتجسس على أى عمل من أعمال زميله ردعا لغيره وزجرا

وقصارى الكلام ، أننا نبذل أقصى جهودنا قولا وعملا ، لكى نبث شعور الكراهية والمقت فى القلوب الفتية نحو داء الجاسوسية الرذول . وعندما يشب هؤلاء عن الطوق ويترعرعون ، تتهيأ لهم فرصة الاطلاع على دستور البلاد وفهم مغازيه أيضا .. وحينئذ تكون الجاسوسية قد زالت بكليتها من البلاد ..

— أيها الأستاذ.. إن إيضاحاتكم هذه قد أحدثت انقلابا فى كيانى ، إننى أشعر بالحاجة إلى أن أخلو إلى نفسى وإلى أفكارى الآن ، فهل تسمحون بأن نكتفى بهذا القدر اليوم ؟

— حسنا ! سنحضر بعد يومين ، ثم نهضوا لمصافحتى وانصرفوا

يتبع **أحمد مصطفى الخطيب**



ديوان مجد الاسلام

نظم الشاعر المرحوم أحمد محرم

وتعليق الأستاذ إبراهيم عبد اللطيف نعيم

غزوة بدر الكبرى

كان عدد الغزوات ثلاثين غزوة ، شهد النبي صلى الله عليه وسلم تسعا وعشرين منها ، وغاب عن واحدة هي غزوة مؤتة ، فأما التي شهدها فهي غزوة ودان — العشيرة — سفوان — بدر الكبرى — بني سليم — بني قينقاع — السويق — قرقرة — الكدر — ذي أمر — بحران — أحد — حمراء الأسد — بني النضير — ذات الرقاع — بدر الآخرة — دومة الجندل — بني المصلق — الخندق — بني قريظة — بني لحيان — ذي قرد — الحديبية — خيبر — وادي القرى — عمرة القضاء — حنين — الطائف — تبوك — فتح مكة — وقد استغنى الناظم عن هذه الغزوات فلا مجال فيها للقول ، وفي هــذا الجزء من الكتاب غزوة بدر الكبرى ، وغزوة بني قينقــاع ، وغزوة السويق ، وغزوة أحد ، وغزوة حمراء الأسد ، وغزوة بني النضير ، وذات الرقاع ، وبدر الآخرة ، ودومة الجندل ، وبني المصطلق ، والخندق ، وبني قريظة ، ومع كل غزوة ما يتصل بهــا من العناصر البارزة فيها

كان خروج المسلمين لغزوة بدر يوم السبت (الثاني عشر من رمضان) وهو الشهر التاسع عشر بعد الهجرة ، وكان عددهم ٣١٣ وقيل ٣١٤ وقيل ٣١٥ رجــلا ، وكان عدد الكفار ٩٥٠ وقيل ألفا ، قتل منهم ٧٠ وأسر ٧٠ رجلا ، فأما المسلمون فقد استشهد منهم ١٤ رجلا ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار

نعيم

ما للنفوس إلى العماية تجنح ... أتظن أن السيف عنها يصفح ؟

داويت بالحسنى [1] فلج فسادها ... ولديك إن شئت الدواء الأصلح

الإذن جاء [2] فقل لقومك: أقبلوا ... بالبيض تبرق والصوافن تضبح [3]

أفيطمع الكفار أن لا يؤخذوا ؟ ... بل غرهم حلم يمد ويفسح

أمنوا نكالك ، فاستبد طغاتهم ... أفكنت إذ تزجي الزواجر تمزح ؟

لا يستحون ، ولو تأذن ربهم ... عرفوا اليقين وأوشكوا أن يستحوا

أملى [4] لهم ، حتى إذا بلغوا المدى ... ألوى [5] بهم خطب يجل ويفدح

من ناقض عهدا ، ومن متمرد ... يمسى على دين الغواة ويصبح

لما استتام الأمر لاح بشيرها ... غر سوافر من جبينك تلمح

ظمئت سيوفك يا (محمد) فاسقها ... من خير ما تسقي السيوف وتنضح [6]

فجر ينابيع الفتوح ، فربها ... ما تستبيح من البلاد وتفتح

الظلم أوردهــا الغليل ، وإنه ... لأشــد ما تجد السيوف وأبرح

اليوم توردها الدماء ، فترتوي ... وتردها نشوى المتون ، فتفرح

المشركون عموا ، وأنت موكل ... بالشرك يمحى ، والعماية تمسح

خذهم بيأسك ، لا ترعك جموعهم ... فلأنت إن وزنوا الكتائب أرجح

ضلوا السبيل ، وفي يمينك ساطع ... يهدي النفوس إلى التي هي أوضح

هفت العشيرة [7] إذ نهضت تريدها ... والعير دانية تشط وتنزح

(١) الخطاب للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

(٢) كانت الآيات التي نزلت بمكة تحض على الصبر واحتمال الأذى ، فلما قويت شوكة الإسلام بعد الهجرة نزلت الآيات بالقتال ، وكان مبدؤها في الثاني عشر من شهر صفر من السنة الثانية وأولها (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وقيل ان الآية الأولى هي (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) وكان الصحابة يأتون النبي بمكة وهم بين مضروب ومشجوج . فيقول : اصبروا فاني لم أومر بالقتال

(٣) صوت الخيل دون الصهيل ، أو عدوها

(٤) أملى له أمهله وطاول له

( ) ألوى بالرجل وبالشيء ذهب به

(٦) بمعنى تسقى

(٧) العشيرة موضع لبني مدلج بينبع ، خرج إليها النبي صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى وقيل الثانية على رأس ١٦ شهراً من الهجرة في ١٥٠ وقيل ٢٠٠ رجلا من المهاجرين يريد عيرا لقريش سارت من مكة الى الشام للتجارة ، كانت ألف بعير تحمل ما قيمته خمسون ألف دينار ، وكان قائدها أبو سفيان بن حرب ومعه مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص ، فلم يدركها النبي . فلما عادت من الشام خرج إليها — قيل انها كانت سبباً لوقعة بدر ، وكان اللواء في العشيرة لحمزة بن عبد المطلب ، وفي هذه الغزوة عقدت معاهدة بين الرسول الكريم وبين بني مدلج ، وكانوا حلفاء بني ضمرة

تمشى (مواقر[8]) فى غواربها العلى   (أموال مكة) فهى ميل جنح
عد باللواء ، وقل (لحزة) إنهم   رهن بمرزمة[9] تسح وتدلح[10]
تهوى غداة الروع[11] فى طوفانها   مهج الفوارس ، والمنايا تسبح
هذا الفتى الفهرى[12] أقبل جامحا   يغزو (المدينة) والمضلل يجمح
ولى يسوق السرح ، لو لم توله   سعة لضاق به الفضاء الأفيح[13]
دعه ، فإن له « بمكة » مشهدا   يرضيك والشهداء حولك تطرح[14]

* * *

ذهب ابن حرب[15] فى تجارة قومه   ولسوف يعلم من يفوز ويربح
نسر مضى متصيدا ، ووراءه   يوم تصاد به النسور وتذبح
نبأ يحيد عن السهام ، أصابه   نبأ تصاب به السهام فتجرح
بعث (ابن عمرو) ما لكم من قوة   أن مالكم أمسى يلم ويكسح
واهاً (قريش) إنه الدم فاعلموا   من دون بيضكم يراق ويسفح
تردون برد الأمن ، والنار التى   أنتم لها حطب تشب وتقدح
إن كنت لم أفصح لخطب هالنى   فسلوا (بعيرى) إنه هو أفصح
وخذوا النصيحة عن قميصى إنه   لأجل من يعظ النيام وينصح
إنى صدقتكم البلاغ لتعلموا   وجبال مكة شهد والأبطح
جفلت نفوس القوم ، حتى مالها   لجم ترد ، ولا مقاود تكبح

وأبى (أبو لهب[16]) مخافة ما رأت   فى النوم (عاتكة) فما يتزحزح
ورأى (أمية[17]) وتأخر حينه   لرآه (عقبة) ثاويا ما يبرح
يرميه بالمجمر القبيح يلومه   ويسومه الخلق الذى هو أقبح
غشاه (سعد[18]) روعة ما بعدها   لذوى المخافة فى السلامة مطمح

* * *

نفروا يريدون القتال ، وغيرهم   عبث اللواتى فى الهوادج تنبح[19]
غنت بهجو المسلمين ، وإنها   لأضل من يهجو الرجال ويمدح
الضاربات على الدفوف ، فإن هو   ضربوا الطلى[20] فالنادبات النوح

يتبع

إبراهيم عبد اللطيف نعيم

---

(٨) محملة أحمالا ثقيلة

(٩) من أرزم الرعد إذا اشتد صوته ، والمراد غارة أو وقعة هذه صفتها

(١٠) يقال سحابة تدلح إذا كانت كثيرة الماء ، وأصله أن يمشى الرجل أو غيره متقبض الخطو لثقل حمله

(١١) يعنى الحرب وأصله الفزع

(١٢) هو كرز بن جابر الفهرى كان من رؤساء قريش ، أغار على سرح من الإبل والمواشى كان بالمدينة بعد رجوع النبى من العشيرة بليال فخرج صلى الله عليه وسلم يطلبه ، فلما بلغ سفوان (موضع من ناحية بدر) فاته كرز ، وكان اللواء بيد على بن أبى طالب — أسلم كرز وصحب ، وأمر على سرية ، وقتل فى فتح مكة رضى الله عنه

(١٣) الأفيح الواسع

(١٤) إشارة الى اسلام كرز واستشهاده

(١٥) كان أبو سفيان يتجسس أخبار النبى ، فلما علم بخروجه مع الجيش أرسل ضمضم بن عمرو الغفارى يستنفر قريشا بمكة ، واستأجره بعشرين مثقالا على أن يأتى مكة ويجدع أنف بعيره ، ويشق ثوبه من قبل ومن دبر ، ثم يصرخ ببطن الوادى على بعيره : اللطيمة اللطيمة — هى العير التى تحمل الطعام والبز — أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد ، الكم ان أصحابه ان تدركوها ، الغوث الغوث ، فنفر الناس وتخلف أبو لهب

(١٦) نفر الناس للقتال وتخلف أبو لهب لرؤيا رأتها عاتكة ابنة عبد المطلب عم النبى صلوات الله وسلامه عليه (مختلف فى إسلامها) بعثت عاتكة الى أخيها العباس فلما جاءها قالت بعد أن أوصته بالكتمان خوفا من كفار قريش ، رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر الى مصارعكم فى ثلاث ، فأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينا هم حوله رأيت بعيره مثل به على ظهر الكعبة ، ثم صرخ مثلها ، ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس (جبل) فصرخ مثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ، ارفضت : فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقة ، قال العباس : إنها لرؤيا عظيمة فاكتميها ، وخرج فلقى الوليد بن عتبة ، وكان صديقا له ، فذكر له ، واستكتمه ، فذكرها الوليد لأبيه ، فحدث بها ، وفشا الحديث ، ومر العباس على أبى جهل وهو فى رهط من قريش يتحدثون بهذه الرؤيا ، فقال له : يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا ، فلما رجع قال له أبو جهل : يابن عبد المطلب ، متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟

جاء ضمضم بن عمرو الغفارى الى مكة بعد هذه الرؤيا بثلاثة أيام وفعل ما فعل فكان ذلك مصداقا لرؤيا عاتكة

بعث أبو لهب مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكان له أربعة آلاف درهم دينا عليه ، ثم عجز عن أدائها ، فجعلها أجرا له ، وقد قتل العاص فى غزوة بدر بيد عمر بن الخطاب

(١٧) أمية بن خلف أراد التخلف وكان شيخا ثقيلا ، فجاءه عقبة بن أبى معيط وهو جالس مع قومه بمجمرة فيها بخور ثم وضعها بين يديه ، وقال له : استجمر فانما أنت من النساء ، وكان أبو جهل هو الذى دعا عقبة الى ذلك ، ومن قول أبى جهل لأمية : انك سيد أهل الوادى فاذا تخلفت تخلفوا فتجهز وخرج

(١٨) سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل على أمية كما كان ينزل عليه بالمدينة فى طريقه الى الشام فأخبره أن النبى سيقتله — والمراد جند النبى — فكان هذا سبب خوفه وكراهته للخروج

(١٩) خرجت قريش ومعها القيان يضربن على الدفوف ويغنين بهجو المسلمين ، وكان من زعمائهم أبو جهل ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وحكيم ابن حزام (أسلم بعد ذلك) وابو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، والعاص بن عبد المطلب ، وابى بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد (اسلم بعد ذلك)

(٢٠) الطلى الأعناق أو أصولها ، جمع طلية او طلاة

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

تلقى الأدباء ذلك النبأ الذى أعلنته الرسالة فى العدد السابق ، بأنها ستتجدد ، وبأن الرواية ستعود إلى الصدور ، بالفرح والابتهاج ، فقد كان طبيعيا أن تجرى الرسالة فى موكب النهضة ، وهى التى حمل صاحبها القلم منذ ثلاثين عاما يدافع به عن الفلاح والعامل ، وطالب بحقوق الفقراء والضعفاء ، ولطالما كانت مقالاتها هى صرخة الحق فى وجه الباطل عندما كان الباطل قويا ، ومتسلطا

ولا شك أن الأدب العربى فى حاجة إلى « الرواية » حاجته إلى المجلة القصصية الفنية ، بعد أن انتشرت تلك الألوان التهافتة من القصص

والذين طالعوا الأعداد التى صدرت من الرواية فى سنيها الثلاث مازالوا يذكرون ذلك الفيض الرائع من القصص العربية والمترجمة ، المنقولة فى أسلوب رفيع ، وعلى نسق يكرم الذوق ، ويغير الخلق ، ويضع قواعد السمو والرجولة

ويتصل بهذا أن الأستاذ الزيات قد أخذ يفرغ لهذا العمل بعد أن ترك مجلة الأزهر ، وقد كانت عودته إلى الرسالة حبيبة إلى القراء الذين كانوا يطمعون فى أن يوحد كاتبنا الكبير جهوده فى ميدانه الأصيل ، ولاسيا بعد أن رسم لمجلة الأزهر الخطة المثلى ، وأصبح على القائمين عليها أن يمضوا على نفس النهج

الكتاب الذين آثروا الانزواء

لفت نظرى ذلك الكتاب المترجم الذى صدر هذا الأسبوع للدكتور محمد أبو طايلة ، فقد آثر الدكتور أن يختفى وقتا طويلا من دنيا الصحافة والأدب .. بعد أن ظل اسمه وقتا من أبرز الأسماء فى الصحافة المصرية

وقد جدد هذا الذكر فى نظرى البحث عن الأدباء الذين اختفوا فى السنوات الأخيرة وآثروا أن يعيشوا حياتهم الخاصة يقرأون ولا ينتجون ، لقد كنت أعرف أن « عقدة » نفسية قد طغت على بعض هذه النفوس فدفعت أصحابها إلى إيثار تطليق الحياة الأدبية والتوقف عن الإنتاج !

تلك هى غلبة الأدب الذى يطلقون عليه كلمة « الخفيف » والذى لا أراه صالحا لأن يكون لونا من ألوان الأدب ... فقد مرت بمصر فترة ، كانت الصحافة وهى التى تملك زمام الإنتاج تحرص على أن تقدم للقراء تلك الألوان التى تتصل بالغرائز والرغبات الرخيصة

وقد جندت لهذا اللون بعض كبار الكتاب الذين حرصوا على « القدر » الضخم من الأجر ، متجاهلين تاريخهم القديم ، وماضيهم المعروف

ولا شك أن الأدب الرفيع قد تقلص تحت ضربات هذا اللون الجديد ، وانزوى وآثر هؤلاء الأدباء الانزواء أيضا

وقد حق لنا الآن أن تطالب هـــذه الأسماء بأن تستأنف جهودها وعملها مرة أخرى بعد أن بدأت بشائر النهضة الجديدة التى سيكون « الأدب الرفيع » من أول قواعدها

السجل الثانى

نظرة واحدة فى السجل الثانى الجديد عن سنة ١٩٥١ تعطى فكرة واضحة عن ضعف الإنتاج الأدبى خلال العام

فعدد الكتب القوية التى يمكن أن يطلق عليها هذا الاسم قليل جدا ، بل نادر ، وإنما هى مجموعة من الكتب ، صدرت على طريقة الصحف التى تطبع فى سرعة وتكتب فى سرعة . . والتى ليس فيها بحث عميق ، ولا تأمل واضح ، ولا دراسة رصينة

إنما هى مجموعة من الأفكار ، كتبت ونشرت ، ولما تستوف عناصر الكمال .. فإذا نظرنا فى الإحصائيات ، وجدنا ظاهرة ضعف الإقبال على القراءة واضحة ، غاية الوضوح

فإذا كان القراء فى مدينة كالقاهرة فى خلال عام كامل لا يزيد عددهم على ١٩٢ ألف فى جميع دور الكتب ، الدار الرئيسية والدور الفرعية ، أى بمعدل ٥٢٤ قارئ فى اليوم ، فإن هذا يعطى صورة صحيحة لمدى (إقبال !) القراء على البحث والقراءة والدراسة ، مع ملاحظة أن هناك عددا كبيرا — من هذا الرقم — من الطلبة الذين يعاودون التردد على الدار مرتين فى اليوم الواحد ! وخاصة

أيام الامتحانات الأولى والملحقة

القراءات : ضعف فى الكم والكيف

. . وقد رأيت أن أعرف الألوان التى يقرأها شبابنا الذين يترددون على دور الكتب فوجدت فى أيدى الشباب فى سن السابعة عشرة قصص: صوره دوريان جراى، وراسبوتين، وبيرون، وكرمن ، وعربة اللذة وروايات موريس لبلان ، عن أرسين لوبين

وليس فى قصة من هذه القصص ما يرفع مستوى الشباب من ناحية الفن أو الذوق أو الخيال أو الأدب ، وإنما هى قصص هائجة مائجة ، كلها شهوة وإثم وفجور وسرقات

أنا لا أعيب قراءة القصة الممتازة ، كقصص شكسبير وبرنارد شو وجوته ولامرتين . . ، فهى تربى فى الشباب روح البيان والإنشاء والكتابة

وإذا كنا نعيب على الشباب البعد عن القراءة ، بصفة عامة والقراء النافعة بصفة خاصة . . فإننا لا ننسى أن نذكر أن وسائل طلب الكتب فى دار الكتب ما تزال معقدة ، فإذا طلبت دوريات الصحف فى الغروب قيل لك إنه ليس بالمخزن نور ، وإذا طلبت أكثر من أربع كتب رفض طلبك ، هذا فضلا عن عدم وجود مراجع كاملة واضحة

. . أما إذا كان هنالك أديب من الأدباء أو مفكر من المفكرين يريد أن يبحث فنا أو مادة . . أو علما ، فإنه لا يجد ما يعينه إذا لم يكن له صديق من موظفى دار الكتب وتلك ملاحظات خفيفة نهديها إلى الأستاذ الكبير توفيق الحكيم

أدب الجيش وتاريخه

من الملاحظ أن تاريخ الجيش المصرى لم يكتب بعد على وجه موسوعى أو كامل . . وذلك نقص ، إن كنا قد قصرنا فيه فى الماضى ، فإننا يجب أن نتلافاه اليوم

الحق أن جيشنا له تاريخ مشرق ، منذ عهد طويل ، منذ الفراعنة عندطرد الهكسوس.. وعندما وقف وقفته فى كوتاهية ، ومواقفه فى فتح عكا وبطولته فى عين جالوت

وهو الجيش المصرى الذى رد الصليبيين ، فى المنصورة ودمياط ، ورجاله الأبطال هم الذين أسروا قلب الأسد ملك إنجلترا، والقديس لويس إمبراطور فرنسا

. . ونحن الآن نطالب بأن يكتب تاريخ الجيش من جديد ، على ضوء البطولة الرائعة التى سجلها منذ سبعين عاما عندما زحف عرابى على قصر عابدين ، وبعد سبعين عاما عندما زحف محمد نجيب على قصر رأس التين وخلع فاروق

إن فى تاريخ جيشنا ، مواقف كثيرة مشرفة ، جديرة بأن تكتب على طريقة الأدب والفن لا على طريقة التأريخ ، وأن بعض هذه المواقف ، جدير بأن ينقل إلى السينما . . ، فقد رأينا الكثير من الأفلام السينمائية التى صورت أجزاء من تاريخنا فى أوضاع مشوهة ، . . وحق لنا فى عهد النهضة أن نرد عن كرامتنا ، ونذود عن تاريخنا بعض ما أصيب به فى العهد الماضى من أخطاء . . وإهمال ! !

الأدب النسوى

يعرف قراء الصحف اليومية ، ما قيل من أن الدكتورة « بنت الشاطئ » سترفع دعوى على بعض المخرجين السينمائيين لأنهم أطلقوا اسمها على فلم من الأفلام السينمائية

وقد عادت الدكتورة فى الأسبوع الماضى من رحلتها إلى أوربا ، هذه الرحلة الخامسة من رحلاتها السنوية التى جعلتها فى السنوات الأخيرة جزءاً من برنامجها

وقد كانت هذه الرحلات زاداً للكاتبة الكبيرة أضافت إلى خبرتها، حين قرأت عن هذه البلاد، خبرة جديدة وتجارب واسعة زادت خبرتها سعة وتجاربها قوة وحيوية

ونحن نطمع أن تخرج رسالة ضخمة عن هذه الرحلات

وإذا كانت الدكتورة « بنت الشاطئ » بصدد إخراج كتابها « صور من حياتهن » الذى سيظهر خلال هذا الشهر فإننا نتساءل الآن عما تقرأ المرأة !

والواقع أنه ليس هناك أدب نسوى بالمعنى المعروف، وكتابات أمينة السعيد ، وبنت الشاطئ ، وسهير القلماوى ، . . كلها كتابات مسترجلة ، ليس لها طابع نسوى واضح ، ولا يمكن القول بأنها فى مجموعها . . تكون أدبا نسويا بمعنى الكلمة !

ومن الناحية الأخرى فإن قراءات المرأة فى مجموعها ضعيفة ومشتتة ، والمرأة المصرية المثقفة عندنا فى الواقع لا تقرأ . . إن لم

تكن تكره زوجها إذا كان يحب القراءة . . — وإذا قرأت فهى تقرأ الاثنين وآخر ساعة والمصور ! . .

ولا نعتقد أن مثل هذه القراءات تكفى لتربية الذوق الفنى أو الأدبى فى المرأة المثقفة !

ونحن نرجو أن يتيح العهد الجديد للمرأة إنشاء أدب نسوى . . له طابعه الخاص . . يجرى مع النهضة الحديثة ! ! ويكون طابع المرأة الجديدة

أنور الجندى



المسرح المصرى فى عام

للأستاذ على متولى صلاح

شغلتنا العلة والرحلة عن أن نسجل جهود المسرح المصرى فى العام الماضى ، فقد كان عاماً خصباً موفور الإنتاج كثير النشاط يمتاز امتيازاً واضحاً ملموساً عن الأعوام القريبة السابقة ، ولعل مرد ذلك إلى التنافس القوى الذى احتدم بين الفرقتين اللتين كانتا فرقة واحدة هى « الفرقة القومية المصرية » ثم انقسمت — كما ينقسم كل شىء عندنا — إلى فرقتين هما « الفرقة المصرية » « فرقة المسرح المصرى الحديث »

أما الأولى فقوامها من رجال المسرح الأقدمين ، وأما أخراها فقوامها شباب جديد يدرجون على المسرح لأول مرة وهم أصحاب مذهب آخر واتجاه آخر يغاير كثيراً ما يذهب إليه رجال الفرقة الأولى

والمسرح هو — كما يعلم القراء — الصورة المهذبة المشذبة للحياة ، وهو أرفع أنواع الفن والأدب ، بل هو على الأصح جماع عدد كبير من الفنون والآداب، فالحديث عنه إنما هو حديث عن الحياة والأدب والفن جميعا ، وأرجو أن يأتى اليوم الذى أرانا فيه نقتتل ونتخاصم ونختلف حول رواية من الروايات كما يفعل الأوربيون فى نواديهم وأحاديثهم وصحفهم

ولقد دأبت الفرقة الأولى — وأعنى بها الفرقة المصرية التى كان يتولى أمرها الأستاذ يوسف وهبى — دأبت كشأنها دائما على تقديم ما خفت مؤونته من الروايات المترجمة التى رآها الناس أكثر من مرة فكان ذلك منها إفلاساً كبيراً وقصوراً معيباً ، اللهم إلا عدداً آخر من الروايات كان الأستاذ يوسف وهبى فيها هو المؤلف والمخرج والممثل جميعاً ! وليس من عجب فى ذلك ولا من غرابة فكلنا يعلم أنه

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد !

نعم . . . كان الأستاذ يوسف وهبى دكتاتورا متصرفا فى كل الأمور ، بل إن دكتاتوريته امتدت فى كثير من الأحيان إلى أعمال بعض المؤلفين الذين تتقطع نياط قلبه دون أن يبلغ شيئا مما بلغوه ، وأشير هنا على سبيل المثال إلى الجرأة التى ارتكبها هذا الرجل فى رواية « سر الحاكم بأمر الله » للأستاذ على أحمد باكثير ، فقد عدا فيها على المؤلف عدواناً كبيراً وغير شخصية « الحاكم بأمر الله » — كما أرادها المؤلف — من النقيض إلى النقيض ، وحمله من الرأى والفكر مالم يحمله المؤلف ، وقلبه من رجل قوى قادر ذى بطش وذى إرادة وقوة ! إلى رجل ضعيف متهالك مهرج دجال ، ولا ندرى لذلك من حكمة إلا رغبة الأستاذ يوسف وهبى فى أن يظهر على المسرح دائما مهرجا دجالا تفرح العامة لرؤياه وتدمى أكفهم بالتصفيق له !

أما تآليفه فهو مجموعة أمشاج وأخلاط ومسوخ شائهة ! بل هى سوءات لا أدرى كيف يعرضها على الناس ، وأشير إلى واحدة منها مما قدمه فى العام الماضى وهى التى سماها « ٧٠ سنة » فهى فؤوس تهوى على عقول النظارة ، وهى صخور يجرها من هنا الميكرفون ومن هناك المناظر السينمائية لأنها لا تستطيع أن تنهض منفردة وأن تعيش مستقلة ! وهذا خلط ليس من الفن المسرحى فى شىء

ولذلك فقد كان حسناً جدا أن أبعدوا هذا الرجل عن تلك

الفرقة.. والله المسئول أن يهيئ لمامن أمرها رشدا في عهدها الجديد

وأما الفرقة الثانية — وأعني بها فرقة المسرح المصرى الحديث — فهي مجموعة من الشباب الذين نالوا حظا غير قليل من الثقافة والمعرفة والدراية بشؤون المسرح ، ودرسوا فن التمثيل والإلقاء والإخراج في المعهد العالي لفن التمثيل ، فكانوا دما جديدا ، وكانوا وثبة جديدة باركناها يوم ظهورها على صفحات « الرسالة »

ولقد سلخت هذه الفرقة عامين من عمرها ، ونهضت فيهما نهضة مشكورة ، واستطاعت إلى حد كبير أن تثبت وجودها في عالم المسرح ، وقدمت للناس عددا لا بأس به بين مؤلف ومترجم من أمثال « مسمار جحا » ، « مريض رغم أنفه » ، « حورية من الريح » وسواها مما رآه الناس وحمدوا لها حسن اختياره ، فإن اختيار الرجل دليل عقله ، وإن الشاعر القديم ليقول :

قد عرفناك باختيارك إذ كا ن دليلا على اللبيب اختياره

ولكن الحق يقتضينا أن نأخذ عليها أنها قدمت توافه خسيسة ضئيلة القيمة من أمثال « دنشواى الحديثة » ، « كبنا البرعو » مما سبق أن أفضنا في الحديث عنه

ولقد استطاعت هذه الفرقة الناشئة أن تصرع الفرقة الأخرى القديمة التي يهيمن عليها الأستاذ يوسف وهبي بهيله وهيلمانه ، وعندنا أن مرد الأمر في نجاح هذه الفرقة الشابة إنما يعود إلى المجهود الجبار العنيف الذي يبذله الأستاذ زكي طليمات في إخراج الروايات وتدريب أعضاء الفرقة تدريبا دقيقا على كل لفظة وكل خلجة وكل لفتة يؤدونها ، وأشهد لقد رأيته وهو يتصبب عرقا في تدريبهم ويبذل في ذلك جهد المخلص الصبور ، الأمر الذي جعلنا تأخذنا الدهشة والحيرة عندما سمعنا بأمر هذا الانقسام الذي يؤسف له كثيرا بين هؤلاء الأعضاء وأستاذهم زكي طليمات

وليس المقام هنا مقام أن نخوض في أسباب هذا الخلاف ؛ ولكننا نجد أن تمرد التلاميذ على أستاذهم وخروجهم عليه وتشهيرهم به أمر تأباه الأخلاق الفاضلة ، فما بالك وهو ليس أستاذا عاديا ولكنه أستاذ يبذل لتلاميذه كل جهده ووقته ، وينفق حياته في إعدادهم وإنهاضهم وإظهارهم للناس في أحسن صورة ، ويحدب عليهم حدب الآباء على أبنائهم — ونحن نعلم من ذلك الكثير — ثم ينتهي الأمر بهذه النبوة الفاجئة وكيل التهم لأستاذ كان هو لحمة هذه الفرقة وسداها

وعلم الله ما ندافع عن الرجل ما لقيناه وما سمعنا منه كلمة في هذا الصدد ، ولقد كنا أول من حمل عليه لما اختاره من روايات سيئة ، ولكننا نكون مع الحق دائما ، والحق يقضي هنا بأن نقول إن فرقة المسرح المصرى الحديث يعزى وجودها وكيانها ونهوضها إلى الأستاذ زكي طليمات ، وإن كل تقدم ناله أعضاء هذه الفرقة أو سينالونه في المستقبل فإنما مرجعه إلى جهود هذا الأستاذ

علي متولي صلاح

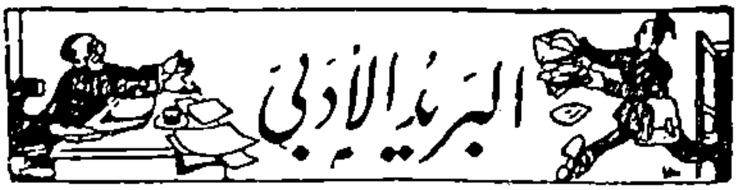
دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابي المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع في ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً عدا أجرة البريد



ظاهرتان

طلعت علينا الرسالة فى العدد ١٠٠٥ بظاهرتين تستوقفان الأنظار ، فأولاهما فى ص ١١٢١ قصيدة بعنوان وحى البردة من أروع الشعر وأعذبه ؛ استوحى فيها ناظمها هدى بردة البوصيرى الخالدة. واسم الناظم أشبه بأسماء المسيحيين. فإن كان ذلك فلا عجب فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو نبى البشرية ودينه هو دين الإنسانية.. فللأستاذ ميشيل الله ويردى — خالص الشكر والتقدير والتهنئة .

والظاهرة الثانية ماذكره الأستاذ على الطنطاوى فى ص ١١٠٧ من أن البوصيرى كفر كفرا صريحا يعد كفر المشركين من قريش إن قيس به إيمانا — وذلك فى قوله :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

والأستاذ الطنطاوى فى هذا يتابع محمد بن عبد الوهاب إمام حنابلة نجد — ورمى البوصيرى بالكفر ليس بجيد ! والإنصاف يقتضى بحث ظروف وملابسات البيت المذكور فهو يقع فى أول الفصل العاشر من البردة عند الكلام على هول الزحام، وقد اتفق البخارى ومسلم وكثير غيرهما على حديث الشفاعة الطويل المتواتر وفيه أن الناس تأتى آدم ثم إبراهيم ثم عيسى ثم محمد (ص) فيقول أنا لها إلى قوله فيحد لى حدا . فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة (هكذا نص الحديث) فالبوصيرى يريد بكلمة سواك سائر الرسل الذين يستعفون الناس من الشفاعة يومئذ ، وذهاب الناس إليهم كما يدل الحديث ليس بشرك وهــذا ما أوجزه البوصيرى فى بيته ، وعبارة يا أكرم الخلق تشعر النعف بشدة الإيمان.. فالخلق لا يوجدهم إلا الخالق سبحانه وتعالى فهو لم يؤله النبى وإنما جعله أكرم خلق الله

واللياذ فى البيت هو الإتيان للاستشفاع الذى ذكره حديث الشفاعة . والحادث العمم هو القيامة بداهــة — والاعتراض على البوصيرى هو إنكار لحديث اتفقت الأمــة على تواتره ولم يطعن فيه أى محدث..ونحن الآن فى زمن مادى لا يحل لنا فيه النيل من السلف الصالح، وخيرنا اليوم من يكون فيه نصف صفاء البوصيرى أو ربع يقينه

وختاما أرجو تكرمكم بنشر هذا إنصافا للبوصيرى وبردته الباركة؛ وتبرئة لطائفة كبيرة من الأمة ترمى بالشرك ظلما وعدوانا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد السلام النجار

لازار فى شعر شوقى

جاء فى الشوقية التى لم تنشر لشوقى قوله :

ود «لازار» يوم أحياه عيسى — لو تذوق المنون طعم الفناء

ولا زار اسم عبرى الأصل ، هو اليعازر أو اليعازار ومعناه «الذى يساعده الله» ، وهو بالفرنسية لازار، وبالإنجليزية لازاروس ، وقد حرفه العرب قليلا فقالوا عازر أو عازار، وأورده أبو الطيب المتنبى فى قصيدته التى يمدح بها محمد بن زريق الطرسوسى ومطلعها «هذه برزت لنا فهجت رسيسا » ، إذ قال :

أو كان صادف رأس « عازر » سيفه
في يوم معركة لأعيــا « عيسى »

وحبذا لو استعمله المرحوم أمير الشعراء بهذا الشكل لكان أقرب إلى شكل العرب وإلى أصله العبرى

٢ — فى كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ضبطت قرية « ظبا » الواقعة على ساحل مدين بشمالى الحجاز بالظاء . والصواب كما أعتقد أن يكتب الاسم بالضاد « ضبا » لا بالظاء .

وفى الباب ذاته قيل « جبة » عن النهل المعروف فى شمالى نجد بين « الجوف » و « حائل » . لقد سمعت بنفسى قبائل « شمــــر » و « الشرارات » القاطنة فى تلك القفار ينطقونه « الجوبة » بالواو والجيم المضمومة . ولما كانت « الجوبة » بفتح الجيم هى الحفرة ، ولما كانت الجبة بعيد عن المقصود ، إذ لا جواز لأن تكون مؤنث «الجب» (وهو أيضا الحفرة أو البئر الواسع) ، فقد تكون « الجوبة » أقرب إلى الصواب ، والله أعلم

سامي

تحت منظار النقد

نشرت الرسالة فى عددها الصادر فى (٦ / ١٠ / ١٩٥٢) قصيدة ميمية للأستاذ (ميشيل الله وردى) بعنوان (وحى البردة).

وقد اضطر الوزن والقافية الشاعر إلى تحريف بعض الألفاظ أو حشوها حشوا بحيث لم تناسب معانيها التى سيقت من أجلها، فالشاعر يقول :

ومن يهم بعظيم يتحد معه   فى الرأى والفكر قبل الوسم والأرم

والوسم بمعنى الجمال خطأ وصحتها الوسامة.. كما أن الأرم بمعنى الخلقة خطأ وصحتها الأرم بسكون الراء. (القاموس المحيط)

ويقول الشاعر :

وشرع أحمد بالقرآن وحدكم   وجد فى أمركم بالحب والسلم

و (سلم) بالتحريك خطأ أيضا وأصلها (سلم) بكسر وفتح السين وسكون اللام.

ويقول الشاعر :

فاربأ بنفسك أن تنهار من ألم   واربأ بجسنك أن يكمد من سأم

و (يكمد) بتشديد الدال بمعنى (يستحب) خطأ والصحيح يكمد كما فى المصباح المنير

ويقول الشاعر

آياتك الغر إعجاز تنزه عن   ند وليس دعى الحب كاللدم

ويقول :

إن كان ينجح طب الناس فى جسد   فأنت تفعل بالأرواح كالحسم

ويقول :

فاستجمعوا أمركم فالله وحدكم   والمكر فرقكم فى حومة الجسم

فما معانى : اللدم والحسم والجسم التى يقصدها الشاعر والتى تتناسب مع المعنى ؟ لا أدرى ولا تدرى قواميس اللغة. ولا شك أن القافية قد اضطرت الشاعر إلى حشو هذه الألفاظ. وفى القصيدة هذا البيت :

محمد رد من ضلوا وعلمهم   حق النساء اللواتى كن كالرمم

ولا شك أن تشبيه النساء بالرمم شئ لا يقره الذوق السليم. فإن من طبيعة الرمم أن تعافها العيون وتفر منها الأنوف. وليس هذا من طبيعة الجنس اللطيف. وإذا كان الشاعر قد أراد أن يبين مدى إهمال النساء بالجاهلية وأن يصور النظرة التى كان العرب ينظرونها إليهن فقد كان يجب أن يشبههن بشئ مهمل ولكن ليس قذرا بشعا كالرمم. وكان الأحرى أن يقول :

محمد رد من ضلوا وعلمهم   حق النساء اللواتى كن كالبهم

أو كالنعم. فإن العيون لا تأبى أن تقع على البهم كما تأبى أن تقع على الرمم

عبد اللطيف محمود الصعيدى

١ — تصويب

أخطاء فى مقالتى فى العدد (١٠٠٥)

الصفحة	العمود	السطر	الصواب
١١٠٧	١	٦	وأنه لا يكفى فيه
١١٠٧	١	١٣	وأنه لا يوحى أبدا
١١٠٨	١	٥	(من مشايخ الطرق)
١١٠٨	١	١٧	وهذا كله وإن صح طريقه من أخبار الآحاد لا تثبت به عقيدة. ولا يبنى عليه علم
١١٠٨	٢	١٩	هذا وقد نجمت طائفة

وأخطاء أخرى فى الحروف وعلامات الوقف لا تخفى على القارئ

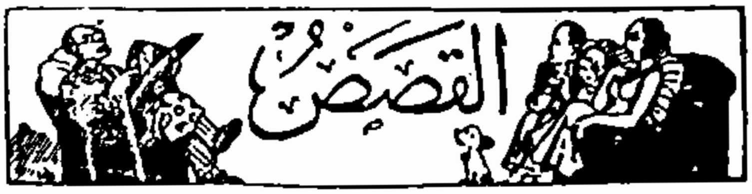
٢ — تصويب

وقع فى قصيدة الأستاذ ميشيل الله وردى هذه التطبيعات فالرجا من القراء تصحيحها

الصفحة	العمود	السطر	الصواب
١١٢١	٢	الأخير	ضلوا بدلا من خلوا
١١٢٢	١	قبل الأخير	الدم بدلا من اللدم
١١٢٢	٢	١٤	تنابذهم بدلا من تنابزهم
١١٢٢	٢	قبل الأخير	ما الدين بدلا من والدين

شطر (قوم إذا استخصموا) اقتباس يوضع بين قوسين وقد كان هذا التقديم فى مطلع القصيدة فتأخر نشره سهوا

علي الطنطاوي



فلوريدور ومرغريت

أقصوصة فرنسية

— أحبك حبا ملأ جوانب نفسي وملك على مشاعري

— لقد وهبتك قلبي عربونا لحب لا انتهاء له

— أحق ما تقولين، أم هذا صدى غرامي تردده الأوهام ؟

— يشهد هذا البدر المنير، وهذا الروض النضير، ويشهد مبدعهما أنني لا أحب سواك، ولا أقف حياتي إلا عليك

وسمع من بعد وقع أقدام فذعر العاشقان وتواعدا إلى الغد. وتسلق الشاب جدران الحديقة العالية وتوارى مبتعدا في الشارع وهو يناجي نفسه قائلا : من تكون يا ترى هذه الفتاة التي تقف حياتها علي، وما أنا إلا ممثل على المسارح العمومية ؟ إن كل ما يتجلى لي فيها ينم عن محتد رفيع وثقافة عالية. لقد أرادت أن تخفى اسمها عني فقالت : ما دمت في مدرسة الدير تلميذة أتلقن العلم فما أنا إلا أسيرة لا أملك نفسي، فاقنع بما أعلنته لك من حبي الآن إلى أن أبرح هذا المكان فأطلعك على الحقيقة وأسلمك يدي أمام الله والناس

وكان الفتى فلوريدور يستعيد ذكرى اليوم الذي رأى فيه لأول مرة هذه الغادة الفاتنة تطل من نافذة الدير وترسل إليه نظرة أوقدت جذوة الغرام في قلبه. وتابع السير حتى وصل إلى غرفته الحقيرة حيث تطرح على سريره آملا زيارة طيف الحبيبة في منامه

وعاد الفتى في المساء التالي إلى مكان الملتقى، وبات ينتظر موافاة الحبيبة فأخفقت آماله؛ وعاود الكرة مرارا فما رأى في جنة غرامه غير أزهارها، وما نشق غير عبيرها. ومرت الليالي فتيقن العاشق أن سره قد افتضح، وتأكد أن الحبيبة قد غادرت الدير وعبثا فتش عنها فما عثر لها على أثر

— ٢ —

ومرت على العاشق أيام ساعاتها أعوام، وهو يشغل نفسه بالتمثيل على المسارح وفي قلبه غصص من تذكارات الفتاة المجهولة

وفي ذات ليلة كان فلوريدور يقوم بتمثيل دور مؤثر فحانت منه التفاتة إلى مقاعد الطبقة العالية، فرأى حبيبته شاخصة إليه وقد ارتسم الحزن العميق على ملامحها وتساقطت من عينيها الدموع. وقف الممثل مشدوها إلى أن نبهه صوت الملقن الذي حسب أنه نسي دوره، فعاد إلى التمثيل بلهجة ملأها الحب روعة وهو يتبع على ملامح من يهوى تأثير إلقائه وإيمائه. وما انتهى من التمثيل حتى هرع إلى غرفته مغيرا أثوابه واندفع إلى مدخل المسرح لعله يرى خالبة لبه. فلم يوفق إلى لقائها؛ وتكررت هذه الحادثة والممثل يحاول عبثا مقابلة الفتاة عند نهاية عمله، إلى أن دخل عليه يوما وهو في لجج من الأحزان شيخ مهيب تدل أثوابه على أنه من علية القوم، فاستقبله الممثل مستغربا هذه الزيارة، ولكن الشيخ مد يده مصافحا وقال : عفوا أيها السيد؛ إنني أتيتك ولا معرفة بيننا، ولكن من الأمور ما يجيز تجاوز المألوف؛ ولدي مسألة هامة يتوقف عليها شرفي وسعادتي. أنا نبيل وأنت من كرام الناس فسوف أتناول الموضوع بلا توطئة

— تكلم يا سيدي، فأنا مصغ

— هب أنك أمير ولك ابنة جميلة في ريعان الصبا وهي وارثة اسمك الوحيدة، وقد وجدت لها عريسا من أعاظم الدولة تحسده الملوك على أمجاده فلم تقبل ابنتك ما أعددته لها من سعادة فماذا تفعل ؟

— أترك لها الحرية، وأجتهد أن أكتشف سر قلبها، إذ لعلها وهبت قلبها لمن امتلكها حبه فلا تستطيع مقاومة قضاء الله فيها

— وإذا عرفت أنها عاشقة ؟

— أطاوعها في إرادتها وأساعدها على الاقتران بمن تهوى، فليس بغير الحب من سعادة على الأرض

— وإذا كان ما تشير به يفوت الإمكان ؟

— ولماذا ؟

— لأن الفتاة التي أتـكلم عنها هي وحيدة الدوق بارسلان أحد نبلاء القصر ، وهذا الدوق واقف أمامك الآن ، ولأن الذي تهواه ابنتي رجل شريف ولا ريب ، ولـكنه ممثل

— فهمت يا مولاي . إن في تنازل ابنة الدوق بارسلان إلى عشق من هو دونها نسباً لعارا تأباه الطبقة المميزة بالألقـاب ، ولـكن ما تعني بهذا الـكلام ؟

— إذا كان الأمر لا يتضح لديك ، فهأنذا أصرح . إن الممثل الذي امتلك فؤاد وحيدتي هو أنت ، أيها السيد فلوريدور

وصعق الممثل وهتف قائلا — أنا ؟

— عفوا ، إن في هذا التصريح ما يمس عزة نفســك ، ولـكنني ألجأ إليك فلا تخيب أملي ، فإنك على ما أرى لا تعرف ابنتي وما اجتمعت بهـا ؛ فإذا ما تقدمت إليك بطلب ظاهره مستغرب يؤدي إلى إلزامك بتضحية فلن يصعب الأمر عليك ، وعليه يتوقف الإبقاء على شرف اسمي وحياة وحيدتي وهي تعلن أنها لا تريد أن تقترن بغيرك

— وما هي هذه التضحية ؟

— إنك قادر على اقتلاع جراثيم حبك من قلبها

— وبأية طريقة أقتلع ما تسميه جراثيم حبي ؟

— أصغ إلي ... إن وحيدتي لم ترك إلا عن بعد وأنت على المسرح مرتديا أثواب الأبطال تنشد أجمل الأشعار ، فمن السهل عليك أن تبدد أوهامها إذا أنت رضيت بالظهور إليهـا في مظهر الرجل العادي ، بل الرجل المتهتك الـكثير البعيد عن كل تهذيب وثقافة ، فتتأكد عندئذ أنها عشقت ثوبا ، وأعجبت بما ليس منك بل من أقوال الشعراء . إن ما أكلفك به هو الظهور بهذا المظهر فتحتقرك وتشفى من دائهـا المقام ؛ وهل من قاتل للحب غير الاحتقار ؟

استغرق فلوريدور في التفكير . لو كان ما يعتقـده الدوق صحيحا من أنه لم يجتمع بالفتاة وما عرفها ، لـكان هنالك واجب يسهل القيـام به ، ولـكن أنى للقلب الذي ضم المحبوب إليه أن يستسهل انسلاخه عنه : ولاحت الفتاة الشريفة الرفيعة المحتـد لخيال الممثل واقفة من حبه على شفا جرف تـكاد تنزلق عليه هازئة بقلب أبيها واعتقادات من تنتمي إليهم . وطال تفكيره وهو يقابل بين ضحيتها والتضحية التي يعرضها أبوها عليـه ، فإذا بصوت الشيخ الوقور يرتفع قائلا : لا تتردد ، أيها السيد الـكريم ! إن ما يوجه إليك الآن إنما هو رجاء والد حصر في وحيدته كل ما في الحياة من سعادة ومجد وآمال ؛ فما أنا إلا شيخ هاو ضعيف ، بل أنا أحد أشراف وطنك أضرع إليك أن تحفظ اسم سلالتي من العار ، فلا تدعني أذهب بواجبي إلى القسوة على ابنتي التي لم يترك لي الدهر سواها

وأدى كلام الشيخ قلب الفتى ، فوعد بالقيام بما يطلب منـه لاستئصال حبه من قلب الفتاة الوحيدة التي ملـكت لبه وملأت جوانب نفسه

— ٣ —

وفي اليوم التالي عند الظهر أعلن خادم القصر لسيده الدوق قدوم الممثل فلوريدور . فقال الدوق أدخله إلى البهـو الـكبير ، وها أنذا آت إليه

دخل فلوريدور البهو وجاء الدوق يصافحه ؛ ثم ظهرت الغادة ، فقال الدوق :

أقدم إليك ، يا ابنتي ، الممثل فلوريدور الذي أعجبت بتمثيله وهو من كبار أهل الفن ، ولذلك دعوته إلى مائدتنـــا ولعلك تسرين بذلك

وطأطأ فلوريدور رأسه مفكرا بأية فظاظة يجب عليـه أن يبتدئ بتمثيل دوره الذي عاهد الدوق على القيام به ؛ ولـكنه مارفع بصره وشهد خالبة لبه حتى علا وجهه الاصفرار ، وإذ مدت يدها لتصافحه وهي ترتجف من الشوق خيل إليه أنه يلصق شفتيه بشفتيها ، ويغرق نور عينيه بأنوار عينيها . والتفت إلى ما حوله فارتعش أمام مظاهر الأبهة والبذخ في هذه القاعة تقف بينها فتاة حديثة الدر التي أقسمت له بالله ألا تحول عن حبه ولا ترضى بغيره رفيقا لحياتها ، فرأى هاوية سحيقة تنفتح بين رجليه ولاحت له الحبيبة في معتصم من جبل لا قبل له ببلوغه ، وتذكر وعده للأب الشيخ المتوسل الضعيف . فتمالك عواطفه وفيهـا ثورة وسعير

وجلس فلوريدور إلى المائدة بين الدوق وحبيبته ؛ فلما قدم الخدم أول لون من الطعام كان قد ملأ كأسه وأفرغها في جوفه دفعة واحدة ، ثم ألحقها بكأس وكأس ؛ ثم أخذ يمثل دوره متكلفا بلهجة عوام الناس منتخبا ألفاظه السمجة ، وما مرت نصف ساعة حتى كان فلوريدور يحملق بعينيه ويقسم ويلعن متدحرجاً تحت المائدة وقد سحب غطاءها معه فتدحرجت الأواني تتحطم بفرقعة أخفت الزفرات التي كانت تندفع من فم شهيد المروءة بالرغم عنه

ونهضت ابنة الدوق بإشارة من أبيها وقد علا وجهها اصفرار الموت ، فتقدم الدوق إلى الفتى قائلا : إن مروءتك تفوق إبداعك في التمثيل ، لقد جبرت فؤادي الكسير ، دعني أسد إليك الشكر الذي تستحق . ولكن ماذا أرى .. ما هذه الدموع المتدفقة من عينيك أيها السيد ؟

ووجم الدوق إذ لم يجبه فلوريدور بكلمة ؛ بل اندفع إلى خارج القاعة كأنه فقد رشده مرسلا ما كبته من زفرات وعويل

— ٤ —

ومر فلوريدور بعد أيام قرب دير راهبات الكرمل ، فرأى جمعا محتشدا في الأسواق المجاورة ، وسمع رنين الأجراس مؤذنة باحتفال كبير ؛ وإذا بعربة مذهبة موسومة بشارات الشرف ووراءها عدد من العربات الأخرى ، وكلها فاخرة تجرها الجياد المطهمة . فسأل أحد المتفرجين عن هذا الاحتفال فقال له : هذه عربة الدوق بارسلان تحمله وامرأته لحضور حفلة ابنتهما . .

ولم يقف فلوريدور ليسمع تتمة الحديث ؛ بل اندفع راكضا نحو مسكنه الحقير وهو يقول في نفسه : أواه ، لقد نجحت في تمثيلي ، وهذه الحبيبة تتزوج اليوم بشريف من طبقة أهلها . ويلاه من ظلم الأقدار !

وما آوى إلى غرفته حتى رأى على الخوان غلافا باسمه ، فافتض ختمه وقرأ ما يأتي :

«بالرغم من محاولتك اقتلاع حبك من قلبي لم يزل شخصك نصب عيني ، فلن أنظر إلى غيرك حتى يواريني رمسي . ما فاتني الجهد الذي بذلته لإرضاء والدي . فقد كنت أقرأ في قلبك حقيقة نفسك وأنت تسدل عليها ستار تمثيلك ؛ ولهذا أقسمت ألا أسلم يدي إلى سواك ، ولكنك لن تسلم هذه اليد ، فكل شيء يفصلني عنك حتى إرادتك . فهأنذي أنخرط في سلك الرهبنة لأبر بقسم أقسمته أمام الله في الحديقة بين ذراعيك وأقسمته أيضا وأنت تخنق زفراتك ، وتقضي على كرامة نفسك

« اليوم أتشح السواد ، وأسدل على وجهي النقاب . وهذا الكتاب هو آخر فكر أوجهه إلى هذه الحياة ، وحتى تطلع عليه تكون حبيبتك مرغريت دي بارسلان قد ماتت عن هذا العالم لتحيا بالله ... »

الراهبة إيناس

ف . ف

مختارات من الأدب الفرنسي
شعر ونثر
للأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصير وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

! ؟ !

* قال الشاعر الألمانى جوته لصديقه أكيرمان *
* كل امرئ يأتى عليه حين من *
* دهره يظن فيه أن آلام *
* فرتر إنما كتبت *
* له خاصة *

(الطبعة الثامنة) (الثمن ٢٥ قرشاً)

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هى القصة العالمية الرواعية الخالدة للشاعر الفيلسوف «جوته» الألمانى

ثمنها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد .. وهى تطلب من جميع المكتبات ومن إدارة الرسالة

ت : ٢٧٤٩٠

مطبعة الرسالة